

لقاء الله

رسالة في السير والسلوك

الشيخ الجليل العارف بالله

الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي

مكتبة فخراوي



مأوى طلاب الحق والحقيقة
المجتمع
متابعة
مشاركة
تم تصوير الكتاب ورفعه عبر صفحة " مأوى طلاب الحق والحقيقة "

لقاء اللّه

(رسالة في السير والسلوك)

تأليف

الشيخ الجليل العارف بالله

الحاج ميرزا جواد الملكي التبريزي

ترجمة

عبد الهادي الركابي

مكتبة فخراوي

الطبعة الثانية

١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م

مكتبة فخراوي

هاتف: ١٧٥٩٣٣٥٥ - ١٧٥٥٣١٣٣ - فاكس: ١٧٥٩٦٦٧٢ - ص.ب: ١٦٤٣

المنامة البحرين - البريد الألكتروني : info@fakhrawi_com

موقع الانترنت: www.fakhrawi.com

بسم الله الرحمن الرحيم

«ومن كتب العلماء المعاصرين طالعوا كتب الشيخ الجليل العارف بالله الحاج ميرزا جواد التبريزي»

الإمام الخميني ﷺ

«... الى أن سمعت أنّ له رسالة بإسم «لقاء الله»، فطرقت هذا الباب وذاك الباب وتحملت مصاعب كثيرة حتى حصلت على نسخة منها، فطالعتها بشغف شديد، واستفدت منها بما وسعت طاقتي لذلك»

العلّامة الاستاذ حسن زادة الآملي

قبسات من حياة

العارف الملكي التبريزي ﷺ

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة والسلام على خير الأنام محمد وآله الطاهرين .

العرفان هو عبادة العاشقين لله سبحانه والمشتاقين إلى لقاءه عزّ وجلّ .

هكذا عرّف العارف الميرزا جواد الملكي التبريزي مفهوم العرفان، ولهذا قرّر الذهاب لزيارة الشيخ حسين قلي الهمداني، وبدون أي مقدّمات، يدخل شيخ شاب وسيم الطلعة يبدو عليه سيماء الثراء والترف معتدّ بنفسه الى مجلس الملّا حسين قلي فيلقي التحية ويجلس جانباً، وما أن تقع نظرات الملّا حسين قلي عليه حتى يأمره بالقيام وتهيئة النارجيلة والإتيان بها إليه، وكان هذا أول اختبار لميرزا جواد في اللحظات الأُولى من اللقاء من غير أن يمهله فرصة الاستراحة وإلفة هذه الأجواء الجديدة. أنّها العقبة الكؤود الأُولى التي ينبغي على السالك اقتحامها ليفك عن نفسه

أغلال الغرور ويحرّرها من سيطرة شهوات النفس الأمّارة بالسوء، ويستجيب الميرزا لهذا الأمر من غير حرج، ويبادر الى طاعة هذا الشيخ العجوز ولم يتتلمذ على يديه بعد، وينجح صاحب السريرة النظيفة في الاختبار الأول، وتمتدّ الأعناق مشرئبة إليه وهي تغبطه على هذا الفوز الباهر.

ويواصل الميرزا الملكي الحضور اليومي المستمر في دورس الأخلاق للآخوند الهمداني ولكن بلا جدوى، فهو لا يرى أثراً وتقدّماً روحياً من حضوره خلال هذه الفترة الطويلة. فيذهب الى أُستاذه ويشكو إليه حالته الروحية وعدم انتفاعه من حضوره خلال السنتين الماضيتين. فقال له الأُستاذ: كيف ترجو أن تتقدّم روحياً وأنت تتخطّى أعناق الحاضرين في مجلس الدرس لتجلس في صدر المجلس؟!

ووقع هذا الجواب موقع الصاعقة على الملكي، وفكّر هل هو مازال يعيش حالة حبّ الظهور على أقرانه واخوانه المؤمنين؟ وأدرك الملكي أنّه قد تأخّر كثيراً في عرض حالته الروحية على أُستاذه المشغول بتربية وتزكية المئات من أمثاله.

ويواصل حضور درس الآخوند جالساً حيث ينتهي به المجلس ولكنه ما زال لا يجد رُقيّاً روحياً، فيبادر بعرض حالته مرّة أخرى عل أُستاذه، فينكر الأستاذ معرفته ويسأله عن اسمه، فيجيبه

بأنّني جواد الملكي، فيقول له الأُستاذ: ألك نسبة مع الطلّاب الملكيين هنا؟ فيجيبه بالإيجاب، ويشكو إليه جفاف علاقتهم معه، بل وأن بعضهم سيّئون.

فقال له الأُستاذ: إنّك لن تجد ذلك الرقي الروحي الذي تنشده إلّا بعد أن تتواضع لأقربائك هؤلاء وتشدّ قياطين أحذيتهم.

فيسارع الميرزا في الاستجابة لإرشادات أستاذه الناصح ليكسر آخر سدّ من سدود الغرور وحبّ الذات في نفسه، وهو يدرك الآن بأنّ شيخه يعرفه تماماً وانّما استدرجه استدراجاً ليبيّن له الداء ويعطيه وصفة الدواء المناسبة.

ويجلس الملكي عند أحذية الحاضرين وينتظر انتهاء الدرس ليشدّ لأبناء عمومته أحذيتهم ذليلاً.

وهنا يبدأ التحوّل الروحي الكبير عند هذا التلميذ المطيع صاحب الإرادة الفولاذية، وتغيّرت الألسن له بالثناء والمديح بعد الذم والتوبيخ، وبعد مدّة يجلس التلميذ الى أُستاذه ويعرض له حالته الروحية من جديد طالباً منه برنامجاً خاصّاً للعمل به، فيقول له الأُستاذ: إنّي لا أجد لك الآن برنامجاً خاصاً، وما عليك إلّا الإلتزام الكامل بما جاء في كتاب «مفتاح الفلاح» للشيخ البهائي، وهو كتاب قيّم جمع فيه البهائي ما ينبغي للمؤمن العمل به من الصلوات والأدعية لجميع ساعات الليل والنهار.

ويقتني الملكي نسخة من هذا الكتاب، ويبدأ العمل بما جاء به ليلاً ونهاراً، ويستمرّ على ذلك مدّة مديدة.

وتمر الأيام والشهور ويجلس التلميذ مع أُستاذه عارضاً عليه حالته، وينجرّ الحديث الى حبّ الجاه فيقول الملكي: الحمد لله فقد تخلّصت من حبّ الجاه.

يقول الملكي: فالتفت الآخوند الهمداني الى الشيخ كاظم الذي كان جالساً الى جانبه وقال مستنكراً: انظر الى ما يدّعيه ميرزا جواد؟؟

يقول العارف الملكي: وتمرّ الأيام على هذا الحديث، ويأتي مجموعة من أقربائنا من تبريز لزيارة كربلاء، وظهر لي خلال معاشرتي لهم أنّ جميع سلوكي معهم كان ناشئاً عن حبّ الجاه.[1]

العارف الميرزا جواد الملكي هو عالم من علماء الشريعة وأُستاذ من أساتذة السلوك، كان له الدور الأساسي في رعاية وتوسيع الحوزة العلمية في قم وتهيئة الأجواء الملائمة لانتقال الحوزة من أراك إلى قم، إضافة إلى التصدّي لتربية مجموعة

(١) طبيب دلها: ١٢.

صالحة من المؤمنين وطلبة العلوم الدينية في النجف وتبريز وقم والأخذ بأيديهم في سلوك طريق العرفان، واستطاعت هذه المجموعة أن تمارس أدواراً مهمة في النهضة الفكرية والسياسية الحديثة في العالم الشيعي.

ولادته ونشأته

ولد الشيخ جواد بن شفيع الملكي التبريزي في تبريز من مدن آذربايجان ايران.

ويُلقّب بالميرزا جواد، والميرزا لقب يطلق على من كانت أُمّه تنتسب إلى ذرّية رسول الله ﷺ.

ويلقّب أيضاً بـ «جواد آغا» والآغا لقب يطلق على الرجل الجليل القدر.

ويلقّب بالملكي نسبة الى لقب عائلته المعروفة بـ «ملك التجار»، ولُقّب أيضاً بالتبريزي نسبة الى مسقط رأسه تبريز.

ومع أنّنا لا نعرف سنة ولادته بشكل دقيق، إلّا انّه يُستفاد ممّا كتبه أحد معاصريه على إحدى مؤلّفات الشيخ في الفقه حيث قال في خاتمته:

«تم الجزء الأول من كتاب النكاح، ويتلوه الجزء الثاني وأوّله

الولاية، بيد العبد المذنب العاصي أسير الآمال والأماني في يوم السابع عشر من شهر صفر المظفر، وقد مضت من الهجرة النبويّة ألف وثلاثمائة واثنى عشر سنة في مشهد الغري».

وكُتب على ظهر الكتاب: «لا يخفى أنّ هذه الوجيزة من تصنيفات حضرة مولانا العلّامة حجة الإسلام، ملاذ الأعلام، باب الفتاوى والأحكام، آية الملك العلّام، صاحب النفس الزكيّة، العبد الصالح، الحاج ميرزا جواد التبريزي ـ متّع الله الإسلام والمسلمين بطول بقائه ـ كتبه في عنفوان شبابه بمشهد ولي ربّ العالمين أمير المؤمنين ـ أرواح العالمين فِداه ـ في شهر شعبان»[١].

ويستفاد من هذه الكتابة أنّ المؤلف كان في عنفوان شبابه سنة ١٣١٢ هـ.

نشأته العلمية

تلقّى الميرزا جواد دروس تعلّم القراءة والكتابة وعلوم العربية والقرآن وأوليات الدراسات الحوزوية في المدارس الدينية في تبريز.

---

(١) طبيب دلها: ١١٨.

وفي أوائل شبابه قرّر الهجرة الى النجف حيث الحوزة العلمية الرئيسية للشيعة، ومحطّ أنظار طلاب العلوم الدينية في العالم الشيعي.

وفي النجف دخل حلبة السباق في أوائل شبابه وهو في أوج استعداده الفكري بعزيمة راسخة وصبر دؤوب، فتتلمذ في الفقه على الشيخ رضا الهمداني، وفي أُصول الفقه على الآخوند محمد كاظم الخراساني أحد أشهر علماء الأصول في العصر الحديث.

كما تتلمذ الميرزا جواد الملكي في علم الحديث وعلم الرجال على الميرزا حسين النوري المعروف بالمحدّث النوري صاحب مستدرك وسائل الشيعة، وكان الأخير من المقرّبين والملازمين للمجدّد الشيرازي.

وقد نال العارف الملكي درجة الاجتهاد في الفقه والأُصول، ووجد في نفسه ملكة استباط الأحكام الشرعيّة منذ وقت مبكر.

وقد استقلّ الميرزا الملكي بتدريس الفقه والأُصول في أعلى مستوياتهما المعروف بالبحث الخارج بعد استقراره في قم، كما كتب تعليقة فارسية لمقلّديه على كتاب «الغاية القصوى» الترجمة الفارسية للكتاب الفتوائي «العروة الوثقى».

رجوعه الى تبريز

رجع الميرزا جواد الملكي الى مسقط رأسه تبريز سنة ١٣٢١ هـ بعد بقاءه في النجف ما يناهز (٢٥) عاماً على أقلّ التقادير. وبقي فيها سبع الى ثمان سنوات متصدّياً لتدريس العلوم الدينية ومجالس الوعظ والإرشاد وإمامة الجماعة، وكان حضّار درسه في الاخلاق أربعمائة شخص، وبذلك يكون قد احتل المكانة العلمية الأُولى في تبريز.

هجرته الى قم

وبعد اضطراب الأوضاع السياسية في ايران بين أنصار المشروطة وأنصار الملكية المطلقة والاحتلال الروسي لجزء من أراضي آذربايجان، واختلال الأمن السياسي والاجتماعي في عاصمتها تبريز، قرّر الميرزا الملكي السفر الى طهران في سنة ١٣٢٩ هـ، فخرج من تبريز سرّاً وأقام في مدينة الري جنوب طهران عند ضريح السيد عبد العظيم الحسني. ثمّ ترك طهران وهاجر الى مدينة قم، حيث تصدّى هناك لإقامة صلاة الجماعة في حرم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، وأقام علاقات مباشرة مع عموم الناس، واستقطب جمهور المتدينيين فيها من خلال مجالس

الوعظ والإرشاد ودورس الأخلاق التي كان يلقيها في المدرسة الفيضية حيث يجتمع الناس فيها جنباً الى جنب مع طلاب العلوم الدينية. وشرع بتدريس البحث الخارج في الفقه والأصول متّخذاً من كتاب مفاتيح الشرائع للفيض الكاشاني محوراً لدروسه الفقهية، وكأنّ عمله هذا يوحي بعزيمته على إتمام المشروع الذي وضع الفيض الكاشاني حجره الأساس.

ومع مرور الأيام والسنين كانت لشخصية العارف الملكي الروحية ومواعظه النارية الأثر البالغ في نفوس المتدينين من أهل قم، فاجتمع الناس حوله ورجعوا إليه في مسائل التقليد، وصار الشخصية الأُولى في قم دينياً واجتماعياً، وكان الناس يجتمعون في منزله في أيام المناسبات والأعياد.

مؤلفاته

ترك الشيخ إضافة الى مؤلّفاته الثلاثة في العرفان: «أسرار الصلاة» و«المراقبات» ورسالة «لقاء الله» مؤلّفات أُخرى في الفقه وهي:

١ ـ كتاب في الفقه الاستدلالي (مخطوط).

٢ ـ رسالة في أحكام الحجّ.

٣ ـ حاشية على الغاية القصوى، الترجمة الفارسية للعروة الوثقى.

تقاريظ العلماء له

١ ـ قال الشيخ آغا بزرك الطهراني صاحب موسوعة «الذريعة الى تصانيف الشيعة»:

«هو الشيخ الميرزا جواد آقا بن الميرزا شفيع الملكي التبريزي نزيل قم. عالم فقيه وأخلاقي، فاضل وورع ثقة، كان في النجف الأشرف اشتغل فيها على أعلام الدين، فقد أخذ مراتب السلوك عن الأخلاقي الشهير المولى حسين قلي الهمداني وأكمل نفسه عليه، وتلمذ في الفقه والأُصول على العلّامة الشيخ آقا رضا الهمداني وغيره من العلماء. وعاد الى ايران في سنة ١٣٢٠ هـ فاستوطن دار الإيمان قم، وقام بوظائف الشرع، وكان مروّجاً للدين مربياً للمؤمنين الى أن توفّي يوم عيد الأضحى سنة ١٣٤٣ هـ، ورثاه تلميذه الشيخ اسماعيل بن الحسين المتخلّص بتائب، بقصيدة أرّخ في آخرها عام وفاته وسمّاها بالقصيدة الجوادية. وله تصانيف منها: «أسرار الصلاة» طبع سنة ١٣٣٩ هـ، وله أيضاً «السير والسلوك»

مخطوطة توجد نسخة عند تلاميذه»[1].

٢ ـ وقال العلّامة محمد علي مدرس في «ريحانة الأدب»:

«الميرزا جواد الملكي من أكابر علماء الأخلاق والعرفان في تبريز في عصرنا الحاضر، عُرف بالملكي لإنتسابه الى عائلة ملك التجار التبريزي. وكان يعقد مجالس الذكر والوعظ في داره بتبريز لسنوات متتالية»[2].

٣ ـ وقال العلّامة السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان في تقريظه لكتاب «المراقبات»:

«أمّا بعد فهذه أسطر أُعلّقها على كتاب «أعمال السنة» للعلم الحجّة الآية المرحوم الحاج الميرزا جواد آقا الملكي التبريزي ـ قدّس الله روحه ـ ولست أُريد بها أن أمدح هذه الصحيفة الجليلة، أو أُثني على مؤلّفها العظيم، فليس هي إلّا بحراً زاخراً لا يوزن بمنٍ ولا صاع، ولا هو إلّا علماً شامخاً لا يقدّر بشبر أو ذراع، وكفى بالقصور عذراً وباليأس عن البلوغ راحة»[3].

٤ ـ وقال العلّامة السيد محمد حسين الطهراني:

---

(١) طبقات أعلام الشيعة ١ : ٣٢٩.
(٢) ريحانة الأدب ٥ : ٣٩٧.
(٣) المراقبات: المقدمة.

«كان آية الله الأعظم الميرزا جواد الملكي التبريزي ـ أعلى الله مقامه الشريف ـ من أكابر العلماء الأتقياء، وأفاضل الأولياء والأصفياء، وصاحب مقامات ودرجات وكرامات»[١].

٥ ـ وقال العلّامة الشيخ حسن زاده الآملي:

«العارف الإلهي، السالك المستقيم، المحقّق الربّاني، الفقيه الصمداني، مربّي النفوس آية الله الشيخ جواد الملكي التبريزي ـ قدّس سرّه ـ من أعاظم العلماء الإلهيين في هذا العصر، وكان ـ بحقّ ـ من علماء الفقه والأُصول والأخلاق و الحكمة والعرفان»[٢].

وفاة الملكي التبريزي رحمه الله

وأخيراً وبعد عمر حافل بالجهاد الأكبر للوصول الى لقاء الله سبحانه استجابت روح الملكي الى نداء بارئها ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ في عيد الأضحى الموافق للحادي عشر من شهر ذي الحجة سنة ١٢٤٣ هـ.

يقول تلميذه السيد حسين الفاطمي: «كنت في جمكران

(١) معاد شناسي ٧: ١٦٧.

(٢) در آسمان معرفت: ١٠١.

حينما كان الأُستاذ الملكي في مرض الموت، فأرسل خلفي، وعندما رجعت الى البيت ذهبت اليه فوجدته قد أسندوه وطلب تراباً للتيمّم، فجلست عنده، وبعد أن تيمّم بدأ بالصلاة ورفع يديه للتكبير، وأسلم الروح في أثناءها، وأكمل تكبيرته في العالم الآخر، أغلقنا عينيه ومددنا رجليه الى القبلة ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ﴾ ولمثل هذه الساعة كانت عبودية الله وطاعته».

واجتمع العلماء، والطلبة وجموع غفيرة من الناس وشيّعت جنازة العارف الملكي تشييعاً فخماً إلى مثواه الأخير في مقبرة شيخان القريبة من حرم السيدة فاطمة المعصومة في قم.

وقد نُقش على لوح قبره العبارات التالية:

قد ارتحل عن دار الغرور إلى دار السرور، وعن بيت الظلمة والدثور إلى البيت المعمور وعالم النور، وطود العلم والتقى، ومعدن الحلم والسخاء، مَن هو في مضمار «موتوا قبل أن تموتوا» بلغ غاية السباق، وتد الأوتاد والعماد الضاد، ربيع الزمان وأويس اليمان، ومصداق ما قاله أبو الأئمّة والد السبطين: «**لولا الآجال التي كتب الله لهم لم تستقرّ أرواحهم في أبدانهم طرفة عين**»، حلّال المشكلات ببنان البيان، كشّاف المعضلات بنور البرهان، عقمت الدهور عن عديله، والعصور عن بديله، فخر العلماء الراسخين، وذخر الفقهاء الشامخين، أبو الفضائل الجمّة الذي بموته ثلم في

الاسلام ثلمة، مقتدى الأنام، حجّة الإسلام والمسلمين، مولى العالمين، الحاج ميرزا جواد آقا التبريزي «أعلى الله تعالى شأنه ورفع في الخلد مكانه» فأليق به أن أقول في تاريخ هذا الرزء العظيم والخطب الجسيم: «رفع العلم وذهب الحلم» وبالفارسية: «از جهان جان رفت واز ملّت پناه».

وغدا قبر الملكي مزاراً منذ ثمانية عقود، يلجأ إليه أصحاب الحوائج ويتوسّلون به لقضاء حوائجهم. يقول العارف الشالچي: «إنّني لا زلت انتفع من قبره، اذهبوا لزيارته واقرأوا له الفاتحة، وإن كانت لكم حوائج فإنّي اتوقّع بأنّكم ستصلون الى نتيجة، وأنا اذا عرضت لي حاجة أحياناً فانّي اذهب لزيارة قبره فتقضى تلك الحاجة. وأراه في عالم الرؤيا أيضاً واستفيد من إرشاداته»[1].

(١) طبيب دلها: ١٠٤.

رسالة لقاء الله

يتحدّث العارف الملكي التبريزي في مقدمة رسالته هذه عن معنى «لقاء الله» والآيات المتعلّقة بها، وعن الأذواق المختلفة في تفسير ذلك، وعن التنزيه الصرف للباري جلّ جلاله، وعن مراتب علم اليقين وحق اليقين.

ويتطرّق في القسم الثاني الى بحوث في التوبة الصحيحة وتوبة الأنبياء وتوبة قوم يونس. وبحث أيضاً عن أهمية المشارطة والمراقبة والمحاسبة للسالك.

ويتناول في القسم الثالث زاد طريق السلوك واهمية المشارطة والمراقبة والمحاسبة للسالك، ثم ذكر أوراد وأذكار وقت النوم واليقظة ووظائف السالك في النهار وآداب الطعام والنوم.

ثم يستعرض أخبار صلاة الليل والبكاء في جوف الليالي وبكاء يحيى عليه السلام، ثم ذكر فضل التهجّد وصلاة الليل.

ويذكر في القسم الرابع زاد طريق السلوك الى الله سبحانه ومحاسبة النفس على تقصيرها في أدب العبودية بين يدي بارئها والتفكير في كيفية إصلاح النفس وأساليب علاج التسويف وتحصيل الرقّة وحال المراقبة.

ويتعرّض في القسم الخامس الى أهمية التفكير في الموت للمبتدئين في سلوك الطريق الى الله جل جلاله.

أمّا في القسم السادس فيتحدّث عن أهمية التفكير في معرفة النفس للسالكين المتوسطين الذين لاحت لهم بعض أسرار الكون وألقوا بعض الحجب الظلمانية. وشرح العوالم الثلاثة للانسان، وحثّ السالك على الفرار من العالم الى مقام الرضا والتوكّل، ثم بين مسألة فناء إرادة السالك في إرادة الله تعالى، وفناء قدرة العبد في قدرة الله، وفناء الذات ونزع خلعة البدن. وأخيراً تعرّض الى معنى إطلاق «الوجود» على الله جلّ جلاله في ألسنة أهل المعقول.

وكان العارف الملكي التبريزي قد كتب بعض موضوعات رسالته «لقاء الله» باللغة الفارسية وبعضها الآخر باللغة العربية. وقد تُرجمتْ النصوص العربية فيها الى الفارسية وخرج الى الطبع نصّ فارسي كامل لها بترجمة السيد أحمد الفهري. وحاولنا إخراج نصّ كامل لها باللغة العربية.

وتتجلّى أهمية هذه الرسالة الفريدة في موضوعها المبتكر من خلال القصّة التالية:

نقل حجة الإسلام الأنصاري أحد مريدي العارف الكامل آية الله الأنصاري الهمداني الذي أخذ على عاتقه تربية النفوس

المستعدة في المرحلة التي تلت وفاة العارف الملكي في الحوزة العلمية في قم أنّ آية الله الشيخ هادي التألّهي الجولاني الهمداني - الذي كان من الزهّاد المعروفين والذي قال في حقّه العارف الأنصاري: انّ الصلاة خلفه تحتاج الى استعداد خاصّ - نقل له أنّه التقى بالعارف الأنصاري فقال له: لقد جلبت معي من قم هدايا نفيسة فتعال الى دارنا وانظر إليها، وكان العارف الهمداني مقيماً في همدان أنذاك.

يقول التألّهي فقلت له: إذا قلت أنا أجيء إليكم فربما اكون مزاحماً لكم، واذا قلت أنت تعال فأخاف أن يكون تكبّراً، وأنا تحت أمركم. فقال: بل أنت تعال.

يقول: وظننت أنّ هذه الهدايا هي من قبيل بعض الحلويات المتعارف شرائها من قم.

وعندما ذهبت إليه ليلاً قام واخرج كُتيباً من الرف والذي كان رسالة لقاء الله للملكي التبريزي وقال: هذه هي الهدية التي جئت بها من قم، فكان تارة يقرأ وأنا أبكي، وكنت أقرأ تارة أخرى وهو يبكي»[1].

أما عملنا في الكتاب، فكان بعد تعريب نصّه، تدوين مقدّمة وافية عن هذا العارف الكبير وسيرة حياته، وكذلك قمنا بتخريج

(١) در كوي بي نشانها: ٩٦ - ٩٧.

جميع الآيات الكريمة والروايات والأحاديث الشريفة الواردة في المتن، وتعميماً للفائدة قمنا باضافة تعليقات مفيدة (بعضها بقلم المؤلّف العارف) حول بعض مفاهيم الكتاب، وأخيراً ألحقنا بالكتاب ثلاث رسائل لها صلة بالموضوع وهي :

١ ـ رسالة العارف الملكي إلى العلّامة الكمپاني ﵁ .

٢ ـ رسالة لقاء الله للعلّامة الفيض الكاشاني ﵁ .

٣ ـ رسالة لقاء الله للإمام الخميني ﵁ .

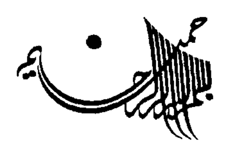
وفي الختام أسأل المولى جلّ شأنه أن ينفع بهذه الرسائل العرفانية إخواني المؤمنين، وينفعني بها يوم فقري وفاقتي، إنّه سميع قريب مجيب، وهو الهادي إلى الحقّ والصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين الأطياب.

عبد الهادي الركابي

٢٠ / ربيع ٢ / ١٤٢٣ هـ

لقاء الله عزّ وجلّ

المقصد الأعلى



الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى آله أمناء الله

لقد وردت في القرآن المجيد كلمة (لقاء الله) و (النظر الى وجه الله تعالى) في اكثر من عشرين موضعاً منه.

وكذلك فانها وردت في كلمات الانبياء والائمة عليهم السلام.

ولكن ورد أيضاً كثير من الاخبار تنزيه الحق جلّ جلاله، ويفيد ظاهرياً التنزيه الصرف عن كل مراتب المعرفة.

ولذلك كان لعلماء الشيعة رضوان الله عليهم مذاقات مختلفة في هذا الباب أهمها مذاقان:

الأوّل: التنزيه الصرف حتى ذلك الذي يؤدي الى المعرفة، بمعنى عدم امكان معرفته تعالى، وقد فهموا من ذلك ضرورة تنزيه الله تعالى تنزيهاً صرفاً، فأولوا جميع الآيات والروايات التي وردت في المعرفة وفي لقاء (الله) بمعان مجازية.

فمثلاً انهم حملوا جميع الآيات والروايات التي وردت في لقاء الله على الموت ولقاء الثواب والعقاب.

ومذاق الفرقة الثانية: انهم رأوا ضرورة الجمع بين الاخبار الواردة في التنزيه وأخبار التشبيه والاخبار التي يظهر منها امكان المعرفة بطريق الرؤية بواسطة هذه العين الظاهرة، وعلى معرفة كنه الذات المقدسة الالهية.

وحملوا اخبار التشبيه واللقاء والوصول والمعرفة على المعرفة الاجمالية، ومعرفة الاسماء والصفات الالهية، ومعرفة مراتب تجلي ذات واسماء وصفات الحق تعالى. طبق قاعدة ان كل ما يمكن للمكن فهو ممكن.

وبعبارة ثانية: عندما تنكشف الحجب الظلمانية والنورانية عن العبد فسوف تظهر له معرفة الحق تعالى واسمائه وصفاته بنوع آخر يختلف عن المعرفة التي كانت عنده قبل ان تنكشف عنه تلك الحجب.

وبعبارة أُخرى: انّ تجلّي أنوار الجمال والجلال الالهي في قلب وعقل وسر خواص أوليائه انما يكون بمقدار فنائهم فيه وبقائهم فيه، ويتحقق ذلك حينما يُمحى جمالهم وتُفنى عقولهم في معرفته فيكون هو المدبر لامورهم عوضاً عن عقولهم.

ولو ان بعد حصولهم على جميع مراتب كشف سبحان الجلال، وتجلي أنوار الجمال والفناء بالله والبقاء بالله فانه سوف يعرف على

وجه الحقيقة ويرى بالعيان عجزه عن الوصول الى كنه معرفة الذات.

نعم، ان هذا عجز عن المعرفة أيضاً، كما ان عجز باقي الناس عجز عن المعرفة أيضاً، ولكن اين هذا من ذاك؟!!

نعم، الجماد عاجز عن المعرفة أيضاً، كما هو الانسان، ولكن الفرق كبير.

نعم، ان اختلاف درجة العجز بين أعلم خلق الله محمد بن عبدالله ﷺ وبين باقي الآدميين بل وبين درجات عجز علماء الأُمّة أكثر بكثير من اختلاف درجة العجز بين الجماد والانسان.

وبشكل عام فان مذاق طائفة من متكلمي العلماء الاعلام هو المذاق الأول، وقد استدلوا بظواهر بعض الاخبار وأوّلوا الآيات والأخبار والأدعية الواردة خلاف ذلك[1].

وقد عزم هذا الضعيف عديم البضاعة ان يذكر بعض تلك الآيات والاخبار الواردة في هذا المعنى بالاضافة الى تأويلات القوم ليتضح الحق من الباطل.

---

(١) وهذا المذاق هو صريح كلمات الشيخ الاحسائي واتباعه، ولكنهم أولوا اخبار اللقاء والمعرفة بوجهٍ ثانٍ كما سوف يأتي. وانهم يثبتون جميع الاسماء والصفات بمنزلة المخلوق الأوّل، بل لا يقولون أيضاً بان ذات الحق المقدسة هي منشأ انتزاع الصفات، ويقولون بالتنزيه الصرف. منه عفي الله.

ومن جملة تلك الآيات آيات (لقاء الله).

فقد أجاب علماء الطائفة الاولى عن هذه الآيات بأن المقصود منه الموت، ولقاء الثواب الالهي.

وردّت الطائفة الثانية هذا الجواب، بأنه مجازي، بل من المجاز البعيد، واذا كان البناء هو الحمل على المعنى المجازي فأن المعنى المجازي الاقرب له هو ان نحمله على صورة من صور اللقاء التي يمكن ان تصبح ـ شرعاً ـ للمكن ولو ان ذلك لا يقال له لقاءاً حقيقياً في العرف العام، مع أن الالفاظ موضوعة لارواح المعاني.

واذا تصورنا معنى روح اللقاء فسوف نرى ان لقاء الاجسام يمسى لقاء على الحقيقة، كما ان لقاء الارواح حقيقي أيضاً، وان لقاء المعاني حقيقي أيضاً، وان لقاء كل واحد منها على نحو بحيث يكون روح معنى اللقاء متحققاً فيها، ولكن لكل واحدٍ منها صورة خاصة بما يناسب حال المُلاقي والمُلاقى.

وعليه يمكن ان يقال: ان معنى اللقاء مع الله تعالى الجليل ممكن، فان روح اللقاء يتحقق فيه حقيقة أيضاً ولكن بنحو يناسب حال المُلاقي والملاقى وهو عبارة عن نفس المعنى الذي عُبّر عنه في الادعية والاخبار بتعبيرات مختلفة كلفظ الوصول والزيارات، والنظر الى وجهه، والتجلي، ورؤية القلب، وتعلق الروح، كما عُبّر

عن ضدِّه بالفراق، والبعد، والحرمان.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انّه قال في تفسير *(قد قامت الصلاة)*:

«*أي حان وقت الزيارة*».

وقد ورد في الأدعية مراراً:

«*ولا تحرمني النظر الى وجهك*».[١]

وجاء في كلامه عليه السلام انه قال:

«*ولكن تراه القلوب بحقائق الايمان*».

وفي المناجاة الشعبانية:

«*وألحقني بنور عزّك الابهج فأكون لك عارفاً*»[٢].

وفيها كذلك:

«*وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل الى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعز قدسك*»[٣].

ويقول في دعاء كميل عليه الرحمة:

(١) اقبال الأعمال: ١٠٤.
(٢) بحار الأنوار ٩٤: ٩٩، ح ١٣.
(٣) بحار الأنوار ٩٤: ٩٩، ح ١٣.

«فهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك»[1].

فاذا لاحظ الانسان الفطن والخال من الشبهات الخارجية هذه العبارات المختلفة فسوف يقطع بان المقصود من (لقاء الله) تعالى ليس هو لقاء ثوابه مثل دخول الجنة، وأكل التفاح، ورؤية الحور العين، فأية مناسبة لهذا المعنى مع هذه التعابير؟! فاذا امكن لأحد أن يحمل كلمة (اللقاء) المطلقة على أحد المعاني البعيدة عن معنى اللقاء، فماذا يصنع مع الألفاظ الأُخرى..مثلاً ماذا يكون النظر الى وجهه؟

وماذا يكون:

«الحقني بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفاً»؟

وماذا يكون:

«انر أبصار قلوبنا بضياء نظرها اليك»؟

فهل يمكن أن يقال بأنّه أكل الكمثرى؟

وإذا قال أحد: اني اوافقكم انّه ليس المقصود من (لقاء الله) ذلك، ولكن المقصود منه هو لقاؤنا لأوليائه من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فمثلاً ان الّذي يتكلم مع رئيس الوزراء فانّه يصحّ له مجازاً ان يقول:

(١) مصباح التهجد: ٧٧٨.

اني تكلّمت مع الملك.

فكذلك كلمة (وجه الله) فانها أُطلقت في الأخبار وأُريد منها الأئمة والأنبياء عليهم السلام، فيكون النبي ﷺ وجه الله بالنسبة الى الائمة عليهم السلام، والأئمة عليهم السلام وجه الله بالنسبة إلينا.

فنجيب: أولاً: انّ نفس الأنبياء والأولياء، بل حتى شخص النبي ﷺ يقرأون هذه الأدعية، وهو نفسه ﷺ الاسم الأعظم ووجه الله، فماذا يقصدون من ذلك؟

وكما روي في خبر المعراج انّه ﷺ رأى ذرة من نور العظمة فأُغمي عليه... فما تلك الرؤية؟[1]

ثم ان هذا المعنى يطلق أحياناً على بعض مقامات الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وانّما يصحّ اطلاق (وجه الله، وجنب الله، واسم الله) عليهم بعد أن يصلوا الى مقام القرب، ويفنوا في الله، ويتّصفوا بصفات الله، وهذا في الواقع قبول لما يدعيه الخصم، وليس ردّاً عليه.

(١) ونقل في ربيع الأسابيع في دعاء ليلة السبت ورد ضمن صلوات على خاتم الأنبياء ﷺ ودعاءٍ له: *(وارزقه نظراً الى وجهك يوم تحجبه عن المجرمين)*.

وفي دعاء يوم الجمعة للصديقة الطاهرة سلام الله عليها: *(فاجعلني كأني أراك يوم القيامة الذي فيه ألقاك)*. منه رحمه الله.

وتفصيل هذا الاجمال بنحو الاختصار: انه وردت في الاخبار المعتبرة انهم عليهم السلام قالوا: «نحن أسماء الله الحسنى»، ومن المقطوع به انّه لم يكن المقصود به من هذه الاسماء هو الاسم اللفظي، فلزم ان يكون المقصود منها الاسم العيني كما يعلم ذلك من الأخبار انّ لله تعالى اسماءً عينية غير لفظية يؤثر بها في العالم، يوقع بها المؤثرات في العالم، بل ان وجود جميع العالم انما هو من تجليات الأسماء الالهية كما ورد ذلك كثيراً في أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام، وباسمك الذي تجلّيت به لفلان، ولفلان، وباسمك الذي خلقت به السماوات والارض، وفي دعاء كميل:

«وباسمائك التي ملأت أركان كلّ شيء».

وروي في كتاب أُصول الكافي وتوحيد الصدوق ـ وهما من كتب الشيعة المعتبرة ـ عن الامام الصادق صلوات الله وسلامه عليه، قال:

«ان الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير متصوت، وباللفظ غير منطق، وبالشخص غير مجسّد، والتشبيه غير مصوف، وباللون غير مصوغ، منفيّ عنه الاقطار، مُبَعَّد عنه الحدود، محجوب عنه، حسّ كل متوهم، مستتر غير مستور، فجعله كلمةً تامّةً على أربعة اجزاء معاً، ليس منها واحدٌ قبل الآخر، فأظهر منها

ثلاثة أسماء لِفاقةِ الخلق اليها، وحجب منها واحداً وهو الاسم المكنون المخزون، فهذه الاسماء التي ظهرت... فالظاهر هو الله تبارك وتعالى، وسخّر سبحانه لكل اسم من هذه الاسماء أربعة أركان، فذلك اثنا عشر ركناً. ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً اليها فهو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، الخالق، الباريء، المصور، الحيّ، القيوم، لا تأخذه سِنةٌ ولا نوم، العليم، الخبير، السميع، البصير، الحكيم، العزيز، الجبار، المتكبر، العليّ، العظيم، المقتدر، القادر، السلام، المؤمن، المهيمن، الباريء، المنشيء، البديع، الرفيع، الجليل، الكريم، الرزاق، المحيي، المميت، الباعث، الوارث».

فهذه الأسماء وما كان من الأسماء الحسنى حتى تتمّ ثلاثمائة وستين اسماً فهي سِبَةٌ لهذه الاسماء الثلاثة، وهذه الاسماء الثلاثة اركانٌ، وحُجُبُ الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلِ ادْعُواْ اللّهَ أَوِ ادْعُواْ الرَّحْمَنَ أَيّاً مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ الأَسْمَاء الْحُسْنَى﴾[1][2].

(١) سورة الاسراء: ١١٠.

(٢) الكافي ١: ٦١٢ ح ١، كتاب التوحيد، توحيد الصدوق: ١٩٠ باب ٢٩ باختلاف في الألفاظ.

ويظهر من هذه الرواية والروايات والأدعية الأُخرى المتواترة انّ هناك أسماء عينية وهي أسماء مخلوقة أيضاً.

اضف الى ذلك فانهم صلوات الله وسلامه عليهم قد صرّحوا ـ كما جاء ذلك في الروايات المعتبرة ـ وقالوا: «*نحن اسماء الله الحسنى*»، بل ان الامام هو الاسم الأعظم.

وبعقيدة الشيعة الامامية ان الرسول الاعظم ﷺ أشرف جميع المخلوقات، عليه فيكون هو الاسم الأعظم.

هذا، بالاضافة الى ما في أدعية شهر رمضان المبارك حيث وصف فيها ﷺ بـ(الحجاب الأقرب) يعني الأقرب من طرف الممكن، وأقرب المخلوقات اليه تعالى.

وفي الحديث:

«*علي ممسوس بذات الله*».

فعلى الانسان أن يتدبّر في هذه الأخبار، وينتبه أولاً الى انها أخبار معتبرة سنداً، وموجودة في الكتب المعتبرة، وقد قبلها علماء المذهب، وبالاضافة الى قوة سندها فقد ارتضى العلماء الأعلام هذه الأخبار وقبلوها وثبّتوها في كتبهم المعتبرة، كما صرّحوا بصحة اسانيدها.

وعند التأمّل في هذه الأخبار يتّضح أنّ مقام خاتم

الانبياء ﷺ هو مقام الاسم الأعظم، والحجاب الأقرب وأنّه فوق هذه الاسماء الثلاثمائة التي ذكر منها خمسة وثلاثين اسماً في هذا الخبر، بل انّ جميع الأسماء واقعة في دائرة مقامه الأعظم ﷺ، وذلك لأن صريح الرواية المتقدمة ان هذه الاسماء الثلاثمائة مخلوقة من أركان الأسماء الثلاثة، وان جميعها ـ ومنها الأسماء الثلاثة ـ انما هي من أركان، وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون، وهو مخلوق أيضاً.

وبعدما قرعت سمعك الشريف هذه المقامات فانك سوف ترى وبأدنى تأمل انّه لو كانت أسماء الله وصفات الله التي في هذه الأسماء من المقامات الحقيقية لسيد البشر ﷺ فحينئذٍ يلزم ان يكون قربه قرباً معنوياً.

وكما يلزم ان تكون معرفته للحق تعالى معرفة حقيقية.

ومع كل ذلك فانه سوف تبقى معرفته كما نصّ هو نفسه ﷺ وبينه أهل بيته الطيبون وخلفاؤه المقدسون ـ الذين ساوى علمهم عليهم السلام وعلمه ﷺ لأنّهم عليهم السلام ورثة علومه ﷺ ـ قاصرة عن معرفة حقيقية كنه الذات، ولا يتعارض هذا مع مدعى اولئك الاجلاء بانّ معرفة الحق جلّ جلاله الاجمالية ممكنة بل ويرغب فيها عظماء الدين وأولياء الله عزّ وجلّ الرحيم، بل ان هذا الموضوع نفسه هو من اهمّ المواضيع والمسائل الدينية التي يأمل كل واحد منهم ان

يحصل على شيء من هذه المطالب والمقامات، بل ان هذه المواضيع هي غاية الدين، بل هي العلة الغائية لخلق السماوات والارضين، بل لخلق جميع العوالم.

ومع كل تلك المقامات فاذا بقي الانسان مصرّاً على التنزيه الصرف للذات المقدسة عن الرؤية وادعى بعدم وجود طريق لمعرفة الله تعالى.. لا تفصيلاً، ولا اجمالاً، ولا كنهاً، ولا وجهاً، فانه لا محالة سوف يرى اذا تأمل بصدق بان هذا التنزيه يوجب التعطيل، ويوجب الابطال، ويلحق بالعدم من حيث لا يشعر، ولذلك نهى الائمة صلوات الله عليهم عن التنزيه الصرف، كما جاء ذلك في الاخبار المعتبرة، منها ما في الكافي، حينما سأل الزنديق الامام الصادق عليه السلام:

فله إنيّة، ومائية؟

قال: نعم، لا يثبت الشيء إلا بانيّة ومائية.

قال له السائل: فله كيفية؟

قال: لا، لأنّ الكيفية جهة الصفة والاحاطة، ولكن لابدّ من الخروج من جهة التعطيل والتشبيه، لانّ من نفاه فقد انكره ورفع ربوبيته وابطله، ومن شبهه بغيره فقد اثبته بصفة المخلوقين المصنوعين الذين لا يستحقون

الربوبية، ولكن لابد من اثبات ان له كيفية لا يستحقها غيره، ولا يُشارك فيها، ولا يحاط بها، ولا يعلمها غيره....

وقد قال الزنديق في بداية هذه الرواية: فما هو؟

فأجاب عليه السلام:

«هو الرب، وهو المعبود، وهو الله، وليس قولي (الله) اثبات هذه الحروف: الف، ولام وهاء، ولكنّي ارجع الى معنى وشيء خالق الأشياء وصانعها، ونعت هذه الحروف وهو المعنى...».

الى أن قال: قال السائل: فانّا لم نجد موهوماً إلّا مخلوقاً؟

قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لو كان (ذلك ما تقول) لكان التوحيد عنّا مرتفعاً، لأنّا لم نكلف غير موهوم، ولكنّا نقول كل موهوم بالحواس مدرك (به) تحدّه وتمثله فهو مخلوق اذ كان النفي هو الابطال والعدم...الخ»[1].

فعلى الانسان ان لا يعتبر تنزيه الحق بنفي كل المعاني فينفيها، لانه سوف لا تكون حقيقة ذلك إلا التعطيل.

---

(١) الكافي ١: ٨٤ح ٦.

وعليه ان ينزه الذات المقدسة من المعاني غير اللائقة به تعالى، والتي تلزم محدوديته ونقصه.. كما ان عليه ان ينفي المعرفة الحسيّة بكل اقسامها.

ولكن اذا نُفِيَت المعرفة بعين القلب والروح مع ان هذه المعرفة ليست بالكنه وانما هي بالوجه، فسوف لا يبقى للأنبياء والأولياء والعرفاء الحقّانيين إلا تلك المعرفة الموجودة عند أغلب العوام.

وعلى كل حال: فلو كان عند الانسان ذرة من البصيرة، فسوف يجد ان اولئك النافين للمعرفة بالوجه قد وقعوا بشكل لا ارادي في الاعتقاد ـ الى حدّ ما ـ بالمعرفة بالوجه على نحو العقد القلبي وهذا المقدار القليل من المعرفة بعقد قلوبهم يتنافى مع التنزيه والصرف الذي يقولون به حسب مدعاهم، وذلك، لأنهم حينما يَدْعُون الله تعالى فانهم يقولون ـ مثلاً: انت الرحمن... انت الرحيم... انت الغفار... افعل بنا كذا وكذا.. فانهم لا يقصدون قطعاً مجرد الحروف بدون ان يتصوروا شيئاً من معانيها ابداً. وعليه فلابد وانهم يقصدون ذاتاً لها كل هذه الصفات حتى لو كان تصورهم هذا بنحو لا تطابق هذه الصفات التي يدعون بها تلك الصفات التي توصف بها الذوات الممكنة.. فمثلاً أن الرحمة الالهية منزهة عن معنى الرحمة المستلزمة لتأثير القلب ورقته... ولكنهم حينما يتصوروا هذا المعنى المجمل فانهم يحصلوا على الايمان والطمأنينة

اللذين يبعثانهم على التضرع والدعاء... وهذه المعرفة، وهذا العقد القلبي يتناقض مع التنزيه الصرف الذي يدّعونه.

ثم ان من يدّعي المعرفة، وامكان المعرفة فانهم لا يقصدون غير هذا المقدار من المعرفة. ويقولون بان ما تعتقدون به من المعارف والمعاني المجملة للاسماء والصفات الالهية جلّ جلاله في عقدكم القلبي، فاننا قد رأيناها بطريق الكشف والشهود، ووصلنا الى حقائقها بنفس القود التنزيهية، وان هذه الحقائق التي انكشفت لنا انما هي نفسها التي حصلت عند محققي متكلمي الامامية في عالم التصور والعقد القلبي.. وما الفرق بينهما انما هو الفرق بين التصور والوجدان وهو كالفرق بين الانسان الذي يعرف معنى الحلوى معرفة تطابق الواقع (وهذه المعرفة وهذا العلم انما هو عبارة عن معرفة الكيفية المتوافقة والمنسجمة التي تحصل عند تماس بعض الأجسام للأغشية المنتشرة في فضاء الفم)، وبين الانسان الذي يأكل الحلوى.

وهذا من موضوعات يمكن ان يقال بلحاظ انهما شيء واحد، كما يمكن ان يقال بلحاظ آخر انه لا يوجد بينهما علاقة ابداً.

فمثلاً يقول المتكلمون: ان معنى النور لعظمة الحق جلّ جلاله: يعني انه تعالى ظاهر ومظهر، ولكنه ليس من قبيل انوار الشمس والقمر وغيرهما.

امّا رسول الله ﷺ فانه يشاهد المعنى والحقيقة لذلك الظاهر والمُظْهِر بتجلي حقيقة هذا الاسم الشريف بحقيقة سرّه وروحه، ولكن ضمن دائرة تنزيهه جلّ جلاله بانه لا يشبه نور من الانوار، بل ان تجليه اجلّ من هذا التنزيه أيضاً.

ومع ذلك فاننا نقول لهذه المعرفة الحاصلة لرسول الله ﷺ معرفة أيضاً.

وهذا المثال والتصوير من باب التمثيل والتقريب ليس إلا، وحينئذٍ فمن الطبيعي ان يكون مقرباً من جهة، ومبعداً من جهات اخرى.

فاذا حصلت معرفة اسم الله تبارك وتعالى (الظاهر) لولي من الأولياء يتجلى الاسم الظاهر له فيقول:

«*أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك*»[1].

ويقول الامام الصادق عليه السلام:

«*ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله ومعه وبعده*»[2].

فعلى الانسان ان لا ينكر ذلك، ويؤوله بالمعنى الذي يحصل

(١) اقبال الاعمال: ٣٤٩، الطبعة الحجرية.

(٢) الفتوحات المكية: ٣١، باب ٣٣١، ١١٦.

له عند عقد قلبه، ومن ثمّ يسميه تنزيه الله تعالى مما يشاهده البعض من حقائق اسمائه العظمى.

نعم! من الطبيعي ان يشمأز الانسان من الاشياء التي يجهلها.

وعلى كل حال، فاذا كان مسلك ذلك الانسان ان يردّ على حقيقة لم يستطع فهمها من البداية، فانه سوف يخرج عن الايمان، بل وحسب تعاليم الامام الصادق عليه السلام فانه اذا لم يستطع فهمها من بعد التأمل والتحقيق أيضاً، فعليه ان يسكت، ولا يجوز له ان يردها او ينكرها واتخذ ذلك الردّ والانكار مذهباً له يتدين به فانه سوف يخرج عن الايمان.

ومن الخير للانسان عندما يصطدم بمعضلة من هذه المسائل في كلام الانبياء والأولياء والعلماء الصادقين، ولم يتوصل الى كنهها، ان يتضرع الى الله تعالى واهب العلم والعقل، وان يُخلِص نيته، وأن يجدد ويعيد نظره، ويفكر في كلامهم عليهم السلام كراراً.

وعليه أيضاً ان يرجع الى اتقياء العلماء، وليستفسر منهم، ويسألهم ان امكنه الوصول اليهم.. فاذا صنع ذلك فمن المؤكد ان ربّ العالمين سوف يوضح له تلك المعضلة، أو يرشده الى طريق فهمها.

ولا نقاش في وجود مثل هذه المطالب العالية والاسرار الربانية في الدين الحق حتى ان اولئك الجامدين المتحجرين يذعنون بهذا على نحو الاجمال.

وقد بيّنوا ان طريق الوصول الى هذه الحقائق انما يتم من خلال تزكية النفس، والتقوى، والرياضات الشرعية .. فعندما تضعف القوة الحيوانية، وتتقوى القوة الروحانية والايمانية فحينها تتفتح عين بصيرته ويصل السالك الى حقيقة هذه المطالب بالكشف والشهود كما جاء في الآية الكريمة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[١].

وروي عن الرسول الاكرم ﷺ انه قال:

«ما من عبد إلّا وفي وجهه عينان يبصر بهما امر الدنيا، وعينان في قلبه يبصر بهما امر الآخرة، فاذا أراد بعبدٍ خيراً فتح عينيه اللتين في قلبه، فابصر بهما ما وعده بالغيب، فامن بالغيب على الغيب»[٢].

واما الآن يا اخي...

فاذا كانت لديك رغبة ان تكون من اهل المعرفة، وتصير

---

(١) العنكبوت: ٦٩.

(٢) روى المؤلف (رحمه الله) رواية عن الرسول الاكرم ﷺ ما معناها: «لكل انسان عينان للسرّ بها يرى الغيب، فاذا اراد الله تعالى بالعبد خيراً فتح عيون السّر له».

ولكننا آثرنا نقل النص المتقدم في المتن على نقل المعنى.

الخصال: ٢٤٠.

انساناً، وبشراً روحانياً، وسهيماً وشريكاً للملائكة، وتكون من مرافقي الانبياء والاولياء ﷺ فاشدد العزم وتعال من طريق الشرع فاخلع عنك بعض صفات الحيوانات وارمها بعيداً عنك، وتخلق باخلاق الروحانيين، ولا ترض بمقام الحيوانات، ولا تقنع ان تكون بمستوى الجمادات .. وتحرك من هذا الماء والطين بصوب وطنك الاصلي الذي هو من عوالم العليين، ومحل المقربين.

(واجهد ان تنال بالكشف والعيان حقيقة هذا الامر العظيم، وان طريق الوصول الى هذه الكرامة العظمى انما يحصل بمعرفة النفس)[١].

فاعرف نفسك، فان معرفتك طريق لمعرفة الله جلّ جلاله كما في الخبر:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه»[٢].

ولو ان البعض حمل معنى هذه الرواية معلقها على المحال، ولكنه لم يلتفت ان هذا المعنى ورد في اخبار اخرى صريحة في المعنى الأوّل.

---

(١) كان هذا المقطع في الهامش، وقد ذيل بعبارة (منه) ورأينا وضعه في الأصل أنسب.

(٢) غرر الحكم ودرر الكلم: ٤٠٣، ح ٨٠٤٨.

وكذلك ما ورد في مصباح الشريعة:

«*اطلبوا العلم ولو بالصين فهو علم معرفة النفس وفيه معرفة الربّ عزّ وجلّ*»[١].

وكذلك ما ورد في الخبر الذي سُئِل به رسول الله ﷺ:

«*كيف الطريق الى معرفة الحق؟*

قال: معرفة النفس».[٢]

وعموماً، فعليك ان تدرك ان انسانية الانسان ليست بصورته، وذلك لان الصورة قد تنطبع وتنعكس في باب الحمّام..

وليست هي بالجسم، ولذلك لأن الحيوانات المفترسة لها اجسام أيضاً..

وليست بكثرة الطعام والجماع، وذلك لأن الدب والخنزير أكثر منك شراهة..

وكذلك فليست هي الغضب وقوة الانتقام، وذلك فان للكلب والذئب قوة غضبية كبيرة جداً.

بل ان الصفة المختصة بالانسان والتي تجعلك ان تكون انساناً هي تلك التي يفقدها الشركاء الآخرون، وهي العلم والمعرفة

---

(١) مصباح الشريعة: ١٣.

(٢) عوالي اللآليء ١: ٢٤٦، الفصل ١٠، ح ١.

والاخلاق الحسنة، ولا يحصل العلم والمعرفة إلا بعد حسن الخلق كما قيل:

ليس العلم في السماء فينزل اليكم ولا في الارض ليصعد لكم، بل مجبول في قلوبكم، تخلقوا باخلاق الروحانيين حتى يظهر لكم...[١].

وتفصيل هذا الاجمال هو:

ان هذا الانسان موجود عجيب ومركب فيه من جميع عوالم الامكان نموذج ومثال، بل ان لجميع الصفات والاسماء الالهية آثار موجودة فيه وهو كتاب خطه احسن الخالقين بيده، والانسان مختصر اللوح المحفوظ، وهو اكبر حجة لله، وهو حامل الامانة التي لم تقدر السماوات والارضون على حملها.

وبعبارة أُخرى: ان في الانسان حظ وافر من العوالم الثلاث: العالم الحسي، والعلام المثالي، وعالم المعقول.

فاذا جعل الانسان عالمي حسه ومثاله تابعاً لعقله، يعني يكون توجهه والتفاته واهتمامه الى ذلك العالم، ورغبته فيه، ويخرجه من عالم القوة الى عالم الفعل.. فحينئذ يوهَب سلطنة عالمي الشهادة والمثال ويصل الى المقام الذي لم يخطر على قلب

---

(١) احياء علوم الدين ١: ٧١.

بشر من الشرف واللذة والبهجة والبهاء ومعرفة الحق تعالى.

نعم! يحدث ما لم يخطر بالذهن.

واذا يتبع عقلُه عالم الحس والشهادة ـ الذي هو عالم الطبيعة، وعالم سجّين ـ وانغمر في عالم الطبيعة، واخلد الى الارض، فان الله تعالى وحده العالم باي ابتلاء سوف يصيب هذا الانسان بعد ان تفارق روحه بدنه، وأي شقاء، وأية ظلمة، وأية شدة لا سيّما في القيامة الكبرى ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾[1].

وعلى العموم.. فلو زكّى الانسان اخلاقه، ووازن اعماله، وحركاته وسكناته بميزان الشرع والعقل ـ لأن الشرع والعقل متفقان بامر الانسان بالاتصاف بصفات الروحانيين واخلاقهم، فحينئذٍ يكون مراقباً حركاته وسكناته ليرتقي الى عوالم العليين ومقام الروحانيين الاعلى.

وبشكل عام فانه عندما تحصل له المعرفة بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر بالمعرفة الوجدانية، فحينئذٍ يصير موجوداً انسانياً روحانياً، لا انساناً جسمانياً.

وبعبارة أُخرى: يصير انساناً وموجوداً بما هو انسان دون أن يكون موجوداً بما هو حيوان.

---

(١) الطارق: ٩.

كما روى السيد علم الهدى في كتاب «الغرر والدرر» عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في جوانب مَنْ سأله عن العالم العلوي، انه قال عليه السلام في ضمن تلك الرواية:

«خلق الانسان ذا نفس ناطقة، إن زكّاها بالعلم والعمل فقد شابهت جواهر أوائل عللها، وإذا اعتدل مزاجها فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد»[1].

وكذلك يقول في خبر آخر في بيان الخليفة بعد عدة فقرات:

«فمن تخلق بالاخلاق فقد صار موجوداً بما هو انسان دون ان يكون موجوداً بما هو حيوان فقد دخل في الباب الملكي الصوري وليس له من هذه الغاية معبر»[2].

واذا اعطيت هذه العظمة لانسان وترقى من عالم الماء والطين الذي هو عالم ظلمة، واوصل نفسه الى مقام معرفة النفس ـ يعني ان يرى حقيقة نفسه وروحه التي هي من عالم النور، ـ وهي مفتاح معرفة الربّ، فانه سوف يرى بالكشف والعيان ان نفسه من

---

(١) الغرر والدرر ٤: ٢١٨.
(٢) المصدر السابق.

المجردات، وحينما ينجو ويتخلص من الحجب الظلمانية، ولا يبقى ما بينه وبين الوصول الى المقامات الممكنة من معرفته جلّ جلاله إلا الحجب النورانية ... وفي طي هذه الحجب والوصول الى هذا المقام المنيع لذات ومسرات وعوالم لا يعلمها كما هي عليه غير اهلها.

وحتى لو اعتقد احد من طريق العلم أو البرهان كما حصل ذلك للشيخ الرئيس مثلاً وغيره فكتبوا عن مقامات العرفاء انه تعلم ذلك بتقليد اهله، فمع كل ذلك فانه سوف تبقى آلاف الفوارق ما بين هذا العلم والمعرفة، وبين المعرفة الشهودية والوجدانية التي عند اهلها.

وان تلك اللذة التي تحصل لاهلها عند مشاهدة هذه المقامات انما هي تلك اللذة التي رويت في الكافي عن الامام الصادق عليه السلام حيث قال:

«لو علم الناس ما في فضل معرفة الله عزّ وجلّ ما مدّوا أعينهم الى ما متّع الله به الاعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها، وكانت دنياهم اقلّ عندهم مما يطاؤنه بأرجلهم، ولنعموا بمعرفة الله عزّ وجلّ وتلذذوا بها تلذذ مَنْ لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله.

انّ معرفة الله عزّ وجلّ إنس من كلّ وحشة وصاحب من كل وحدّة، ونور من كل ظلمة، وقوّة من كل ضعف، وشفاء من كل سقم».

ثم قال عليه السلام:

«وقد كان قبلكم قوم يقتّلون ويحرّقون، ويُنشرون بالمناشير، وتَضيق عليهم الارض برحبها فما يردّهم عمّا هم عليه شيء مما هم فيه من غير ترة وتروا مَنْ فعل ذلك بهم، ولا أدنى، بل ما نقموا منهم إلا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فاسألوا ربّكم درجاتهم، واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم»[1].

ويقول في مصباح الشريعة في تعريف العارف:

«العارف شخصه مع الخلق، وقلبه مع الله، لو سها قلبه عن الله طرفه عين لمات شوقاً اليه، والعارف امين ودائع الله، وكنز أسراره، ومعدن أنواره ودليل رحمته على خلقه، ومطية علومه، وميزان فضله وعدله. قد غني عن الخلق والمراد والدنيا، ولا مؤنس له سوى الله، ولا نطق، ولا اشارة، ولا نفس الا بالله، ومع الله، ومن الله، فهو في رياض قدسه متردد، ومن لطائف فضله اليه متزود، والمعرفة اصل، وفرعه الايمان»[2].

---

(١) الكافي ٨: ٢٤٧، ح ٣٤٧.

(٢) مصباح الشريعة: ١٩١، باب ٩١.

وروى في الكافي والتوحيد عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

«ان روح المؤمن لاشدّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[١].

ويقول في الحديث القدسي المتفق عليه عند جميع اهل الاسلام:

«وما يتقرب اليّ عبد من عبادي بشيء احبّ اليّ مما افترضت عليه، وانه ليتقرب اليّ بالنافلة حتى احبّه فاذا احببته كنت أُذن سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، ان دعاني اجبته وان سألني أعطيته»[٢].

وقال في مصباح الشريعة:

«العارف اذا انقطع عن نفسه، واتصل بالحق رأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات، وكلّ علم مستغرق في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات، وكل ارادة مستغرقة في ارادته التي يمتنع أن يتأتى عليها شيء من الممكنات، بل كل وجود فهو صادر عنه فائض من لدنه، فصار الحق حينئذٍ

(١) الكافي ٢: ١٦٦.

(٢) الكافي ٢: ٣٥٢.

بصره الذي به يبصر، وسمعه الذي به يسمع، وقدرته التي بها يفعل، وعلمه الذي به يعلم، ووجوده الذي به يوجد، فصار العارف حينئذٍ متخلقاً باخلاق الله في الحقيقة»[١].

وقال في مصباح الشريعة أيضاً:

«المشتاق لا يشتهي طعاماً، ولا يلتذ شراباً، ولا يتطيب رقاداً، ولا يأنس حميماً، ولا يأوي داراً، ولا يسكن عمراناً، ولا يلبس ليناً، ولا يقرّ قراراً، ويعبد الله ليلاً ونهاراً، راجياً بأن يصل الى ما يشتاق اليه ويناجيه بلسان شوقه معبراً عمّا في سريرته كما اخبر الله تعالى عن موسى بن عمران عليه السلام في ميعاد ربّه بقوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[٢].

وفسر النبي صلى الله عليه وآله عن حاله انّه ما اكل ولا شرب ولا نام ولا اشتهى شيئاً من ذلك في ذهابه ومجيئه اربعين يوماً شوقاً الى ربّه.

فاذا دخلت ميدان الشوق فكبّر على نفسك ومرادك من الدنيا، وودع جميع المألوفات واصرفه عن سوى

(١) مصباح الشريعة، الباب ٩٥.

(٢) طه: ٨٤.

شوقك، ولبّ بين حياتك وموتك: لبيك اللهم لبيك.
اعظم الله.

ومثل المشتاق مثل الغريق ليس له همة إلّا خلاصه وقد نسي كلّ شيء دونه»[١].

وروي في علل الشرائع عن الرسول الاكرم ﷺ:

«إنّ شعيباً بكى من حبّ الله عزّ وجلّ حتى عمي، فردّ الله عزّ وجلّ عليه بصره، ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره، ثم بكى حتى عمي، فلما كانت الرابعة اوحى الله اليه: يا شعيب الى متى يكون هذا ابداً منك، ان يكن هذا خوفاً من النار فقد اجرتك، وان يكن شوقاً الى الجنّة فقد ابحتك.

فقال: الهي وسيدي انت تعلم اني ما بكيت خوفاً من نارك، ولا شوقاً الى جنتك، ولكن عقد حبك على قلبي فلست اصبر أو أراك، فأوحى الله جلّ جلاله اليه: أما إذا كان هذا هكذا فمن اجل ذلك ساخدمك كليمي موسى ابن عمران»[٢].

وفي دعاء كميل عليه الرحمة:

---

(١) مصباح الشريعة: ١٩٦ ـ ١٩٧.
(٢) علل الشرائع: ٥٧، باب ٥١، ح ١.

«وهبني يا الهي وسيدي ومولاي وربي جرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك»[١].

وقال في المناجاة الشعبانية:

«وهب لي قلباً يدنيه منك شوقه، ولساناً يرفع اليك صدقه، ونظراً يقربه منك حقه»[٢].

ويقول أيضاً:

«وهب لي كمال الانقطاع اليك، وانر ابصار قلوبنا بضياء نظرها اليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور فتصل الى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقة بعزّ قدسك»[٣].

ويقول أيضاً:

«والحقني بنور عزّك الأبهج فأكون لك عارفاً وعن سواك منحرفاً»[٤].

وتقرأ في دعاء أبي حمزة الثمالي:

«وانك لا تحتجب عن خلقك إلّا ان تحجبهم

---

(١) اقبال الاعمال: ٧٠٨.
(٢) بحار الأنوار ٩٤، ٩٨.
(٣) بحار الأنوار ٩٤، ٩٩.
(٤) بحار الأنوار ٩٤، ٩٩.

الأعمال (الآمال) دونك»(١).

فيا عزيزي: فإذا أردنا أن نذكر العبارات التي من هذا القبيل وكلّها صريحة في المعرفة والمحبة والوصول الى مقام القرب، والوصال المعنوي لكان كتاباً مستقلاً، لا سيما تلك التي في ادعية ومناجاة ائمة الهدى عليهم السلام، ثم ان ما نقلناه من الأخبار فهي أخبار معتبرة من حيث السند ومعتمدة، وقد تلقاها علماء الامامية بالقبول، وهناك الكثير مثلها.. فما أكثر ما ورد في الأخبار: تجلى الحق جلّ جلاله بالاسماء وبالنور وبالعظمة وقد ورد كل ذلك في الادعية.. بل وفوق كل ذلك ما ورد في القرآن المجيد. وهكذا ما ورد في دعاء السمات الذي يقرأه جميع العلماء. وكم ورد في الادعية:

«وارزقني النظر الى وجهك».

وفي بعضها:

«ولا تحرمني النظر الى وجهك الكريم»(٢).

وكم ورد وبشكل صريح في المناجاة الخمس عشرة من قبيل: الوصول ـ والنظر ـ واللقاء ـ والقرب ـ والمعرفة؟

ولو اني لم اذكرها لعدم ثبوت سندها، ولكنها حجّة على

(١) اقبال الاعمال: ٦٨.

(٢) اقبال الاعمال: ١٠٤.

جميع مقلدي العلماء الاعلام، وذلك لأن جميع العلماء الاعلام يقرأونها، ويؤيدون ما جاء فيها.

وهكذا التصريحات التي جاءت في ملحق دعاء عرفة لسيد الشهداء عليه السلام، فان العلماء الاعلام يقرأونه، ولكني لم اذكرها لعدم ثبوت سندها المحلق.

وقد قلنا في البداية ان حمل تلك التعابير على لقاء الثواب، انما هو خلاف النص.

وأما ما ورد احياناً في بعض الأخبار بتفسير الرؤية واللقاء بالثواب، فمن المقطوع به انه يعود ذلك الى السائل لأنه لم يفهم من الرؤية غير الرؤية البصرية، كما فسرت خلّة الخليل عليه السلام في جواب من سأل رسول الله ﷺ بغير معنى المحبة، لأنه لو لم يجيب السائل بهذا التفسير فان السائل سوف يكفر لأنه لا يفهم من المحبة غير محبة الآدميين بعضهم لبعض.. وهذا في الواقع كفر.

وعلى كل حال، فاذا اردت الزيادة على من ذكرناه فارجع الى أدعية ومناجاة الائمة الهداة عليهم السلام، والأخبار التي وردت في ثواب الأعمال.

فمثلاً يقول في دعاء رجب الذي رواه السيد ابن طاووس (رحمه الله) بسندٍ عالٍ في اقبال الاعمال، عن التوقيع المبارك للامام الحجة (ارواح العالمين فداه)، وبالقطع انه نفسه (عج) يقرأ هذا

الدعاء ويقول:

«*اللهمَّ اني اسألك بمعاني جميع ما يدعوك به ولاة أمرك المأمونون على سرّك*».

الى أن يقول:

«*ومقاماتك التي لا فرق بينها وبينك إلّا انهم عبادك وخلقك رتقها وفتقها بيدك*»[١].

ولاحظ وانظر ما في دعاء ليالي شهر رمضان المبارك:

«*آه ... آه ... شوقاً الى مَن يراني ولا اراه ...*»[٢].

ولاحظ دعاء عرفة، ودعاء الجمعة، والى كل مناجاة أمير المؤمنين عليه السلام، وانظر الى ما في اخبار الثواب، وما رواه في الوافي - ومؤلّفه من العلماء الاعلام - في حديث المعراج انّه قال:

«*يا احمد:*

قال: يا رب ما اول العبادة؟

قال: يا احمد، أول العبادة الصمت والصوم، قال: هل تعلم يا احمد ما ميراث الصوم؟

قال: لا، يا رب.

(١) اقبال الاعمال: ٦٤٦.

(٢) اقبال الاعمال، ٥٦.

قال: ميراث الصائم قلة الأكل وقلة الكلام، والعبادة الثانية الصمت، ويورث الصمت الحكمة، وتورث الحكمة المعرفة، وتورث المعرفة اليقين، فاذا استقين العبد لا يبالي كيف اصبح بعسر أم بيسر. فهذا مقام الراضين، فمن عمل برضاي ألزمته ثلاث خصال: اعرّفه شكراً لا يخالطه الجهل، وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبة لا يؤثر على محبتي حبّ المخلوقين، فاذا احبني احببته، وَحَبَبتُه الى خلقي، وافتح عين قلبه الى جلالي وعظمتي، فلا اخفي عليه علم خاصة خلقي فاناجيه في ظلم الليل، ونور النهار حتى ينقطع حديثه مع المخلوقين، ومجالسته معهم، واسمعه كلامي وكلام ملائكتي، واعرفه سري الذي سترته عن خلقي».

الى أن قال:

«*ولأجعلن ملك هذا العبد فوق ملك الملوك حتى يتضعضع له كل ملك ويهابه كل سلطان جائر، وجبار عنيد، ويتمسح له كل سبع ضارٍ، ولا شوقن اليه الجنّة وما فيها، ولا ستغرقن عقله، بمعرفتي، ولا قومن له مقام عقله، ولا هونن عليه الموت وسكراته، ومراراته، وفزعه حتى يساق الى الجنّة سوقاً.*

واذا نزل به ملك الموت يقول له: مرحباً، وطوبى لك، طوبى لك، طوبى لك، ان الله تعالى اليك لمشتاق.

اعلم يا ولي الله ان الابواب التي كان يصعد منها عملك بتكي عليك، وانّ محرابك ومصلاك يبكيان عليك.

فيقول: انا راضٍ برضوان الله، وكرامته.

ويخرج روحه عن جسده كما تخرج الشعرة من العجين، وان الملائكة يقومون عند رأسه بيدَي كل ملك كأس من ماء الكوثر، وكأس من الخمر يسقون روحه حتى تذهب سكرته ومرارته، ويبشرونه بالبشارة اغلعظمى، ويقولون له: طبت، وطاب مثواك، انك تقدم على العزيز الكريم الحبيب القريب، فتطير الروح من ايدي الملائكة فتصعد الى الله تعالى في اسرع من طرقة عين، ولا يبقى حجاب، ولا ستر بينهما وبين الله تعالى، والله عزّ وجلّ الهيا لمشتقا، عن يمين العرش ثم يقال لها: ايتها الروح كيف تلكتِ الدنيا؟

فتقول: الهي وسيدي وعزتك وجلالك لا علم لي بالدنيا، انا منذ خلقتني الى هذه الغاية خائف منك.

فيقول الله: صدقت، كنت بجسدك في الدنيا، وبروحك معي، فانت بعيني اعلم سرّك وعلانيتك، سل

اعطك وتمنّ عليّ فاكرمك، هذه جنتي فتبجح فيها، وهذا جواري فاسكنه.

فتقول الروح: الهي عرفتني نفسك فاستغنيت بها عن جميع خلقك، وعزتك وجلالك لو كان رضاك في ان اقطع إرباً ارباً، أو أقتل سبعين قتلة بأشدّ ما يقتل به الناس لكان رضاك احبّ الي».

الى أن قال:

«... فقال الله عزّ وجلّ: وعزتي وجلالي، لا احجب بيني وبينك في وقت من الاوقات حتى تدخل علي. أيّى وقت شئت، وكذلك افعل باحبائي...».

ثم يقول بعد ذلك في تفسير الحياة الباقية:

«اني افعل بصاحبها كذا وكذا...».

الى أن يقول:

«وافتح عين قلبه وسمعه حتى يسمع بقلبه مني وينظر بقلبه الى عظمتي وجلالي».

ويقول في الحديث نفسه:

«ان أدنى ما أُعطي الزاهدين في الآخرة ان أعطيهم مفاتيح الجنان كلها حتى يفتحوا ايَّ باب شاءوا، ولا احجب عنهم وجهي، ولانعمنهم بأنواع التلذّذ من

كلامي».

الى أن قال:

«وافتح لهم أربعة أبواب: باب تدخل عليهم الهدايا منه بكرة وعشياً ... وباب ينظرون منه اليّ كيف شاءوا...».

ويقول أيضاً في الحديث نفسه في وصف أهل الآخرة:

«ولأرفعن الحجب لها دوني».

ويقول:

«ولا يلي قبض روحه غيري... فأقول له عند قبض روحه: مرحباً واهلاً بقدومك عليّ»[١].

وجميع ما نقلته هنا ـ انا المحتاج ـ انّما هي روايات صحيحة ومعتبرة واذا اردتُ ان اتسامح في ذلك قليلاً لأمكنني ان أنقل بالاضافة الى ذلك ما ورد في اخبار (داود)[٢]، وما في المناجاة الخمسة عشر، وما في المناجاة الملحقة بدعاء عرفة التي رواها السيد ﷺ في الاقبال، والعلّامة ﷺ في المزار[٣]... فانها بوحدها قد جاوزت حدّ التواتر...

---

(١) الوافي ١٤: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) ارشاد القلوب ١: ٧٣ ـ ٧٤.

(٣) الاقبال: ٣٤٨.

وروي في حديث الصلاة في فقرة القراءة انه يقال له: ان لك بكل آية درجة من كذا وكذا الى ان يقال له: *«ودرجة من نور العزة»*[١].

وروي في المستدرك عن مجموعة الشهيد نقلاً عن كتاب الأنوار لأبي علي محمد بن همّام ضمن حديث (لقاء المؤمن)، انّه ﷺ قال:

«اشهدكم عبادي باني اكرمه بالنظر الى نوري وجلالي وكبريائي».

وروي في حديث ثواب الجهاد، في تهذيب الشيخ، في حديث عدّ فيه سبعة خصال للشهيد، الى ان قال:

«السابعة: ان ينظر في وجه الله وانها لراحة لكل نبي وشهيد».

ورد في حديث صحيح في ثواب سجدة الشكر للصلوات المفروضة: عن أبي عبد الله ﷺ قال:

«سجدة الشكر واجبة على كل مسلم، تتم بها صلاتك وترضي بها ربك وتعجب الملائكة منك، وان العبد اذا صلّى ثم سجد سجدة الشكر فتح الربّ تبارك

---

(١) التفسير المنسوب للامام العسكري ﷺ: ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة فيقول: يا ملائكتي، انظروا الى عبدي أدّى فرضي وأتم عهدي ثم سجد لي شكراً على ما أنعمت به عليه.

ملائكتي ماذا له عندي؟

فتقول الملائكة: يا ربنا رحمتك.

ثم يقول الربّ تبارك وتعالى: ثم ماذا؟

فتقول الملائكة: يا ربّنا جنّتك.

ثم يقول الربّ تبارك وتعالى: ثم ماذا؟

فتقول الملائكة: يا ربّنا كفاية مُهمّه.

فيقول الربّ تبارك وتعالى: ثم ماذا؟

قال ولا يبقى من شيء من الخير إلاّ قالته الملائكة، فيقول الله تبارك وتعالى: يا ملائكتي ثم ماذا؟

فتقول الملائكة: ربّنا لا علم لنا!

فيقول تبارك وتعالى: اشكر له كما شكر لي، واقبل اليه بفضلي وأريه وجهي»[1].

وورد في ثواب الأعمى انه قال ﷺ: «*واريك وجهي*».

وورد في خبر ضيافة اهل الجنة انهم وبعد ان يقرأوا القرآن

(١) من لا يحضره الفقيه ١: ٣٣٤، ح ٩٧٩.

الكريم يطلبون الاستماع لكلام الرب الجليل، فيتفضل عليهم بذلك، فيغمى عليهم من ذلة استماعهم لكلامه، ثم يعودون لرشدهم فيتجلى لهم نور فيغمى عليهم من تجلي ذلك النور، ويبقون كذلك حتى تشتكي الحور العين.

وفي فقرة من الحديث الوارد في ثواب اولئك الذين حفظوا ألسنتهم عن فضول الكلام وبطونهم عن الطعام قال:

«*انظر اليهم في كل يوم سبعين مرّة، واكلمهم كلما نظرت اليهم*».

فيا عزيزي كن منصفاً.. هل يمكن للانسان ان يرد كل هذه الآيات والأخبار والأدعية الواردة بتعابير مختلفة؟

وان اردت تلاحظها من حيث السند، فلو قيل بان التواتر يحصل بالأربعين، فانا آتيك بخمسمائة سند، بل الف سند.. علماً ان القرآن الكريم لا يحتاج الى سند

وان اردت من حيث الدلالة، فلا يوجد أدلّ من النصّ، ولا اشكال في نصيّة دلالات بعض الألفاظ التي نقلت، ولا محل لاخر لها، بل انها لا تقبل المجاز ابداً.

نعم! على الانسان ان ينتبه ان لقائه جلّ جلاله ليس مثل لقاء الممكنات... كما ان رؤيته ليست بالعين المجردة الباصرة.. وليست هي مثل الرؤية الجسمانية.. بل ان الرؤية القلبية منزهة أيضاً عن

كيف رؤية المخيلات، كما وان الرؤية العقلية منزهة أيضاً عن كيف رؤية المعقولات، كما ورد ذلك في دعاء الصحيفة العلوية انه عليه السلام قال:

«وتمثل في القلوب بغير مثال تحدّه الاوهام أو تدركه الاحلام»[1].

وكذلك فقد روى السيد ابن طاووس رحمه الله في فلاح السائل، قال: فقد روي ان مولانا جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام كان يتلو القرآن في صلاته فغشي عليه، فلما أفاق سئل: ما الذي أوجب ما انتهت حالك اليه؟

فقال عليه السلام ما معناه:

«ما زلت أُكرر آيات القرآن حتى بلغت الى حال كأنني سمعتها مشافهة ممن انزلها على المكاشفة والعيان، فلم تقم القوة البشرية بمكاشفة الجلالة الالهية»[2].

---

(١) مهج الدعوات: ١١١.

(٢) قال العارف الملكي التبريزي في المراقبات (١٠٦ ـ ١٠٨):

قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾. فمن تدبّر في القرآن لابدّ أن يعرف بقدر تدبّره معنى الكلام وعظمته، وعظمة المتكلّم به، وأحضر قلبه عند قرائته وتدبّر فيها، وتفهّم مراداتها، وتخلّى ↵

واياك يا من لا تعرف حقيقة ذلك ان تستبعده، أو يجعل

↵ عن موانع الفهم، وفرض نفسه مخصوصاً بأحكامها ومواعظها فيتأثّر عند ذلك منها ويترقّى بعد تأثّره في مراتب فراسته الى عوالم بهيّة ومقامات سنيّة. هذه أُمور متعلّقة بقراءة القرآن، بعضها واجب جدّاً، وبعضها فضلٌ وأيّ فضل.

أمّا فهم معنى كلام الله فإجماله أن يعلم أنّ القرآن له حقيقة غير عوالم الألفاظ والمفاهيم والنقوش، وهو من أنوار الله، وله في العوالم مظاهر، ولمظاهره تأثيرات. وله في عوالم الآخرة صورة كصورة الأنبياء والملائكة وعباد الله الصالحين، يتكلّم في هذه الصور، ويشفع عند الربّ تعالى ويُشفّع وهو شافع مُشَفّع وصادق (ماحل) مصدَّق، وهو في الحقيقة تجلّ من تجلّيات الله جل جلاله، كلّ ذلك في أخبار أهل البيت عليهم السلام الذين هم قيّم القرآن ومع القرآن لا يفترقان.

وفيه تبيان كلّ شيء، وعلم ما كان ويكون، وهو نور يهدي به الله من اتّبع رضوانه سُبل السلام، ويخرجهم من الظلمات بإذنه ويهديهم الى صراطٍ مستقيم، بل بحقيقته في بعض العوالم اتّحاد مع حقيقة رسول الله صلى الله عليه وآله وخلفائه الطاهرين. كما يكشف عنه قول أمير المؤمنين عليه السلام: أنا القرآن الناطق.

وبالجملة للقرآن حقيقة، وحقيقته بحيث لا يصل إلى كنه معرفته هذه العلوم، وهو كما قال عزّ وجلّ: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فالمعرفة بحقيقته ملازمة لمعرفة عظيمة، وهي ملازم لمعرفة عظمة المتكلّم به، فمن عرفه بهذه المثابة لابدّ أن يحضر قلبه عند تلاوته، وتدبّر في قراءته، واستفهم مراداتها واشاراتها ولطائفها، إنّ في ذلك خيراً كثيراً، لأنّ في القرآن علم المبدأ والمعاد وهو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وانواع العلوم بحقائق الأشياء كما هي. *(المترجم)*.

الشيطان في تجويز الذي رويناه عندك شكاً، بل كن به مصدقاً، أما سمعت الله جلّ جلاله يقول: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً﴾[١]) ..[٢].

نعم! اذا اراد الانسان ان يحصل على هذه العوالم بالكشف والشهود فعليه أولاً أن يحدد غايته القصوى بما هي، ومن ثمّ يعرف حقيقة الطالب، وعظمة مطلوبه، وليكن جِدُّه في الطلب متناسباً مع المطلوب.

فمثلاً ان من يسعى ليكن عمدة لقرية فسوف لا يكون جدّه قطعاً بحجم من يسعى ليحكم العالم.

ولكن بما ان هذا المطلوب العظيم في شرفه ونوره وبهائه وسلطنته ولذته بمقدار كبير بحيث لا يمكن تصور كهنة لا سيما للمبتدىء، بل ان كل ما يتصور فانه لا يصل الى جزءٍ من مئات الآلاف من حقيقته، ولذلك فعليه ان يقيسه على نحو الاجمال الى معقولاته ومعارفه...

فمثلاً يقيسه الى ما يشاهده من جوانب العظمة في عالم الحسن، ثم يتصور نفس السلطنة والحكومة على كل العالم.. ومن

(١) الأعراف: ١٤٣.

(٢) فلاح السائل: ١٠٧ ـ ١٠٨.

بعد ذلك يقيسها الى السلطنة والحكم على السماوات... فحينئذٍ، اية درجة سوف يراها من العظمة والرفعة؟

وبعد ذلك يقيس العالم المحسوس بعالم الغيب (عالم الملكوت، وعالم الجبروت وغيرهما)، ثم من بعد ذلك يُرْجِع بصره ويفكر في حقيقة حكومة سلاطين الدنيا، فيقيسها بالسلطنة المعنوية، فسوف يرى ان مدة حكومة هؤلاء السلاطين لا تزيد عن عدة سنوات.. فماذا سوف تكون عند نسبتها الى السلطنة الابدية..

واما من حيث الكيف فهي لا تزيد عن عدة الآف من الناقصات الموجودة فيها، والمتوقع حدوثها فيها.. بينما السلطنة المعنوية سلطنة واقعية كسلطنة الانسان على اعضائه، وقواه وفكره...

فلاحظ مثلاً ما ورد في وصف السلطنة الآخروية، ومن جملتها الاخبار الواردة في باب سلطنة اهل الجنة انه يأتي الامر للمؤمن من الحق تعالى كتب فيه:

«*جعلتك حيّاً لا تموت، وتقول للشيء كن فيكون*»[١].

وعلى العموم فان تلك السلطنة التي اعطاها خالق العالم لكل

(١) عدة الداعي: ٢٩١، باب ٦.

انسان سالم الحواس والقوى الذهنية، في إحداث الصور الخيالية فانه قد تكرّم أيضاً بمثلها وخير منها لخاصة عباده من الأنبياء والأولياء بإيجاد واحداث الاعيان الخارجية في هذه الدنيا.. وقد اعطاها لأغلب، أو لجميع اهل الجنة في الآخرة.

ويقول اهل المعرفة: ان معاجز الانبياء والائمة عليهم السلام انما كانت تتحقق من هذا الطريق.

والخلاصة: لو قاس الانسان كل مسألة بالعقل فسوف يرى ان جميع درجات وحدود الاشياء على واقعها وانها متحققة طبق قواعد العدل.. واما اذا ترك الانسان العقل جانباً فسوف تبطل الحكمة، ولا يجد فرقاً بين النور والظلمة، والحسن والقبح، ولا يرى فرقاً بين الوضيع والشريف.

وبالجملة، فان هذه الكمالات القليلة تكفي لبيان مقياس عظمة هذا الموضوع والمواضيع الأُخرى.

وهكذا لو اردت ان تتصور لذة ومسرة هذا المطلوب بنحو الاجمال، فان بعض اهل المعرفة يقول في بيان نموذج عن لذات هذا العالم:

ان تلك الدنيا مقام دار الحيوان، والحياة الحقيقية وكأنها حياة تغلي وتفور، ويمكن ان تحصل في كل لحظة جميع انواع اللذات

لاهلها في وقت واحد وبدون تداخل بعض اللذات بالبعض الآخر، وبدون كسر وانكسار.

بل هناك كيفية اخرى تحصل لهم بحدوث جميع انواع اللذات بجميع اشكالها التي في المأكولات والمشاهدات والمسموعات والمشحومات والملموسات...

فتجتمع جميعها في وقت واحد وفي جميع الآنات، وعلى نحو الدوام، وبدون ان يؤثر بعضها في البعض الآخر، وبدون ان يلغي بعضها البعض الآخر، مع ان هذه اللذات هي كاللذات الحسيّة لجنة النعيم وليست شيئاً آخر.

واذا تقيس على ذلك، اللذات والمسرات التي تحصل بتجلي انوار الجمال ولاجلال للجميل والجليل تعالى، فحينها تكفي (لعل) لتبذل كل ما في وسعك من جدّ وجهد وطاقة.

وتوجد اشارات الى هذه العوالم التي ذكرتها في احاديث الائمة صلوات الله عليهم اجمعين.. مثلاً:

ورد في خبر، ان هناك ماء في الجنة فيه طعم جميع المشروبات والمأكولات.

وتقدم في حديث المعراج انه عندما يقول له الحق جلّ جلاله: «*هذه جنتي فتبجح فيها*».

يجيبه: «*عندما تعرفني نفسك استغني عن كل شيء*»[١].

وفي حديث الضيافة المتقدم، فانه عندما يتجلّى لهم الحق تعالى فانهم يغمى عليهم، ويبقون كذلك مغميّاً عليهم الى ان تشتكي الحور العين، فيعيدهم الحق الجليل الى وعيهم.

فيا ايها العزيز! اجهد لتحصل على الايمان بالله والرسول صلى الله عليه وآله والائمة صلوات الله وسلامه عليهم، ولا تتخيل الثواب والعقاب وجهنم والقرب والبعد بتخيلات وأوهام ملاحدة هذا الزمان.

ومع ذلك، فان كل ما ذكرناه انما هو مما يخطر على قلب بشر، وعليه فقس «*ولا خطر على قلب بشر*»[٢].

نعم!

ديوانه كنى هر دو هانش بخشى

ديوانه تو هر دو جهان را چه كند

يعني:

كـن مـجنوناً وهب العالمين

فالمجنون فيه ماذا يصنعون بالعالَمين

* * *

(١) ارشاد القلوب ١: ٢٠٣.

(٢) الخرائج والجرائح ٢: ٥٤٤، ح ٦.

از در خويش خدايا ببهشتم نفرست

كه سر كوى تو از كون ومكان ما را پش

يعني:

لا تبعثني يا الهي من بابك الى جنتي

فأصْلُ الطريق هو أنت ويكفيني بعد الكون والمكان

* * *

خاك درست بهشت من مهر رخت سرشت من

عشق تو سرنوشت من راحت من رضاى تو

يعني:

تراب بابك جنتي، وتربتك (رحمتك) فطرتي

وحبك قدري، وراحتي برضاك

«*ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك اهلاً للعبادة فعبدتك*»[١].

وقد سمعت في حديث شعيب على نبيّنا وآله وعليه السلام انه قال:

«*لم يكن توجعي وأنيني من خوف النار وليس من محبة الجنّة، ولكني اتوجع وانْ من جهة البعد عنك،*

(١) بحار الأنوار ٧٠: ١٨٦، ح ١.

أصبر حتى أراك».

وسمعت في دعاء كميل عليه الرحمة حيث يقول سيد العارفين ورئيس المناجين:

«وهبني صبرت على عذابك فكيف اصبر على فراقك».

فيا صاحب هذه النفس الكابتة الذي لا يستحي، والسامع البائس، اذا كنت قاطعاً بهذه العوالم، فاين أثر قطعك؟

ولماذا انت ساكن، ولماذا لا تنفر الى قمم الجبال؟

ولماذا لا تفر الى الصحارى؟

ولماذا لا يكون ردّك ليلاً ونهاراً، *«واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله»*؟

وحتى لو كان لدينا ظنّاً بذلك وليس قطعاً، فكيف لا نموت غصّة؟

بل حتى لو كنت تحتمل ذلك، فعلى احتمالك هذا ان ينغص عيشك.. وتزول لذلتك من متاع هذه الدنيا الدنية الفانية.. وقل.. واحسرتاه.. وا حسرتاه.. وا ثبوراه.. وا حيرتاه.. يا ويلي.. يا دماري.. يا عويلي.. يا شقوتي..

نعم! ان الايمان ضعيف، لكن مع ذلك فالقلوب مريضة بحب الدنيا، وإلّا فانْ لم يكن يوجد ايمان فيكفي الشك بل ان الاحتمال

وحده كافٍ.. نعوذ بالله، والمشتكى الى الله والى رسول الله وأمير المؤمنين وآلهما الطاهرين لا سيما خليفة الله في عصرنا وامام زماننا وسلطاننا وسيّدنا ومعاذنا وملاذنا وعصمتنا ونورنا وحياتنا وغاية آمالنا ارواحنا وارواح العالمين فداهم صلوات الله عليهم اجمعين.



العزم

وبداية العودة

فبعدما وضحت الغاية، فشدّ عزمك وقل:

دست از طلب ندارم تا كلام من برآيد
يا جان رسد بجانات يا جان زتن در آيد

يعني:

لا اكفّ عن السعي للحصول على مأمولي
الهي ان تصل روحي بالارواح او تخرج روحي من بدني

فتب عما مضى توبة نصوحة وللتوبة مراتب بحسب مراتب التائبين.

قال في مصباح الشريعة:

«*التوبة حبل الله، ومدد عنايته. ولابدّ من مداومة التوبة على كل حال. وكل فرقة من العباد له توبة. فتوبة الانبياء من اضطراب السر. وتوبة الأولياء من تلوّن الخطرات. وتوبة الأصفياء من التنفيس. وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله. وتوبة العام من الذنوب*»[1].

ولكل واحد منهم معرفة، وعلم في أصل توبته، ومنتهى امره.

---

(١) مصباح الشريعة: ٩٧، باب ٤٤ (في التوبة).

والتوبة التي تجب على الجميع هي التي بيّنها أمير المؤمنين عليه السلام في معنى الاستغفار بستة أشياء:

الأوّل: الندم وهذا الندم علاج لكثير من الأشياء، لا سيما انه عوض وبدل الندم عند الموت، وبعد الموت فلا يمكن لغير التائب ان يتصور مقدار الندم الذي يأتية في المستقبل لانه لا يمكن لهذا الانسان أن يتصور في هذه الدنيا هذه المعاصي وكيف تبدل وبأي حجم تبدل افراحها ومسراتها وبهجتها وقدراتها بالشفاء والعذاب والظلمات والاندحار.. فكيف يتصور في هذه الدنيا حجم الندم الآخروي.

الثاني: العزم على عدم العود ابداً.

الثالث: اداء حقوق المخلوقين.

الرابع: اداء حقوق الفرائض التي تركها.

الخامس: يذيب اللحم الذي نبت من من الحرام بالندم والحسرة وألم الرياضات الى ان يلتصق الجلد بالعظم، وبعد ذلك ينشأ لحماً جديداً من الحلال.

السادس: ان يذيق نفسه ألم الطاعة ومشقة العبادة

بمقدار حلاوة المعصية.[١]

وتفصيل ذلك: اذا ظهرت المعرفة الواقعية للانسان وعرف حقيقة الذنب وقبحه وآثاره... (مثلاً اذا اعتقد جاداً حين أكله مال اليتيم انّه يأكل ناراً، وان هذه النار لا تنطفأ بالأكل بل انها اذا بقيت فسوف تشتد بعد الموت وتحرق العروق والاعماق، وكلما تحرق من العروق والاعماق فانها تبدل بغيرها) فلابدّ ان يحصل له قهراً من الندم بمقدار الشقاء والعذاب الذي جلبه على نفسه، وعليه ان يتحرك باتجاه رفع ذلك، وبالخصوص عندما يقطع بما سوف يحصل له من لذة كبيرة وكرامة وشرف عظيم حينما يخمد تلك النار التي اشتعلت في نفسه وفي داخله، كما يبرز عنده شوق في ذلك الوقت بمقدار معرفته لاخماد تلك النار، وسوف يتحمل كل عمل شاق لاجل اخمادها، ويؤديه بشوق تام.

وان قلت: اية ذلّة وكرامة في التوبة غير علاج المعصية؟

قلنا: ألم تعلم بان الله تعالى «مبدل السيئات باضعافها من الحسنات»؟

ألم تر في القرآن المجيد البشارة والكرامة العظمى في ﴿إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾؟.

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٩٧ ـ ٩٨، رقم ٤٠٢.

أم انّك لم تدرك مقام ومعنى محبّة الله عزّ وجلّ؟

انّ أهل الحق يقولون (والعهدة عليهم): ان محبة الله عزّ وجلّ لعبده تعني انه يكشف الحجب له، فيوفقه الى جواره وقربه ولقائه.

والخلاصة: فلو حصلت هذه المقدمات الوقائية للتائب فبالطبع سوف يكون مستعداً من اعماق وجوده للعلاج، وسوف تقول كل ذرة من وجوده بكامل مراتب وصور التضرع والابتهال الى الله تعالى ذي الجلال: (اتوب الى الله).. كما ان جميع تلك المراتب الاخرى سوف تتم على اكمل الوجوه بالضرورة..

فانظر مثلاً وبشكل عام الموارد التي اعطته الحقيقة العرفائية لقبح المعصية فإلى أي الحالات وجهت اصحابها؟

فمثلاً تذكّر قصة النبّاش ولاحظ: هل علّمه احد وقال له افعل هكذا؟ ام انه حصلت تلك المعرفة له من نفسه نتيجة عظم جنايته، وقد حركته هذه المعرفة الى هذه المواقع والافعال.

نعم! هل رأى احد من يعلم الثكلى النياحة؟

أم ان طرق النياحة تتعلم من الثكلى؟

ومن الجيد ان نذكر توبة النباش من طبقة الرعية، ثم مرتبة توبة الأولياء وبعدها رتبة توبة الأنبياء، ونذكر من كل واحد منها قصة فلعل قطر المطر يؤثر في حجر الرخام.

توبة الرعية

روي في تفسير الصافي في سبب نزول الآية المباركة:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ﴾[1].

وروى الصدوق في مجالسه عن الامام الصادق عليه الصلاة والسلام، قال:

«*دخل معاذ بن جبل على رسول الله باكياً، فسلّم، فردّه.*

ثم قال: ما يبكيك يا معاذ؟

فقال: يا رسول الله ان بالباب شاباً، طري الجسد، نقي اللون، حسن الصورة، يبكي على شبابه بكاء الثكلى على ولدها يريد الدخول عليك.

فقال النبي ﷺ: ادخل عليّ الشاب يا معاذ.

فادخله: فسلّم. فردّه.

ثم قال: ما يبكيك يا شاب؟

قال: كيف لا أبكي وقد ركبت ذنوباً ان اخذني الله عزّ

(١) آل عمران: ١٣٥.

وجل ببعضها ادخلني نار جهنم، ولا أراني إلّا سيأخذني بها، ولا يغفرها لي ابداً.

فقال رسول ﷺ: هل اشركت بالله شيئاً؟

قال: اعوذ بالله أن اشرك بربي شيئاً.

قال: أقتلت النفس التي حرّم الله؟

قال: لا.

فقال النبي ﷺ: يغفر الله ذنوبك وان كانت مثل الجبال الرواسي.

فقال الشاب: فانها اعظم من الجبال الرواسي.

فقال النبي ﷺ: يغفر الله ذنوبك وإن كانت مثل الأرضين السبع، وبحارها، ورمالها، وأشجارها، وما فيها من الخلق.

قال الشاب: فإنها اعظم من الأرضين السبع وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق.

فقال النبي ﷺ: يغفر الله ذنوبك وإن كانت ذنوبك مثل السماوات ونجومها ومثل العرش والكرسي.

قال: فإنها أعظم من ذلك.

قال: فنظر النبي ﷺ إليه كهيئة الغضبان، ثم قال: ويحك يا شاب ذنوبك اعظم أو ربك؟

فخرّ الشاب بوجهه، وهو يقول: سبحان ربّي، ما من شيء أعظم من ربّي، ربّي اعظم يا نبيّ الله من كل عظيم.

فقال النبي ﷺ: فهل يغفر الذنب العظيم إلا العظيم؟

قال الشاب: لا والله يا رسول الله. وسكت.

فقال النبي ﷺ: ويحك يا شاب الا تخبرني بذنب واحد من ذنوبك؟

فقال: بلى اخبرك... إني كنت أنبش القبور سبع سنين. اخرج الأموات، وأنزع الأكفان، فماتت جارية من بعض بنات الانصار، فلمّا حملت الى قبرها ودفنت، وانصرف عنها اهلها، وجنّ عليهم الليل. اتيت قبرها فنبشته ثمّ استخرجتها، ونزعت ما كان عليها من اكفانها، وتركتها مجردة على شفير قبرها ومضيت منصرفاً.

فأتاني الشيطان، فأقبل يزينها لي ويقول: اما ترى بطنها، وبياضها... اما ترى وركيها.. فلم يزل يقول لي هذا حتى رجعت اليها، ولم املك نفسي حتى جامعتها، وتركتها، مكانها.

فاذا أنا بصوت من روائي يقول: ايها الشاب ويل لك

من ديّان يوم الدين، يوم يقفني وايّاك كما تركتني عريانة في عساكر الموتى، ونزعتني من حفيرتي وسلبتني أكفاني، وتكرتني أقوم جُنبَةً الى حسابي، فويل لشبابك من النار.

فما أظنّ إنّي اشم ريح الجنّة ابداً يا رسول الله، فما ترى لي؟

فقال النبي ﷺ: تنحّ يا فاسق إني اخاف ان احترق بنارك، فما اقربك من النار..

ثم لم يزل يقول، ويشر إليه حتى أمعن من بين يديه.

فذهب، فأتى المدينة، فتزوّد منها، ثمّ أتى بعض جبالها، فتعبّد فيها، ولبس مسحاً، وغلّ يديه جميعاً الى عنقه، ونادى:

رب! هذا عبدك بهلول، وبين يديك مغلول.

سيدي يا ربّ وإني اصبحت من النادمين، وأتيت نبيك تائباً، فطردني، وزادني خوفاً، فأسألك باسمك وجلالك، وعظم سلطانك أن لا تخيّب رجائي، ولا تبطل دعائي، ولا تقنطني من رحمتك.

فلم يزل يقول ذلك أربعين يوماً وليلة، تبكي له السباع والوحوش.

فلمّا تمت له أربعون يوماً وليلة رفع يديه الى السماء وقال: اللهمّ ما فعلت في حاجتي؟

ان كنت استجبت دعائي، وغفرت خطيئتي، فأوح الى نبيك، وإن لم تستجب لي دعائي ولم تغفر لي خطيئتي، واردت عقوبتي، فعجّل بنار تحرقني، أو عقوبة في الدنيا تهلكني، وخلصني من فضيحة يوم القيامة.

فأنزل الله تعالى على نبيه ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً﴾ يعني الزنا ﴿أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ﴾ يعنى بارتكاب ذنب أعظم من الزنا، ونبش القبور، وأخذ الاكفان ﴿ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ﴾، الله ﴿لِذُنُوبِهِمْ﴾ يقول خافوا الله فعجلوا التوبة ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللّهُ﴾.

يقول الله تعالى: أتاك عبدي يا محمد تائباً، فطردته، فأين يذهب، والى من يقصد، ومن يسأل ان يغفر له ذنبه غيري.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَى مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

يقول: لم يقيموا على الزنا ونبش القبور وأخذ

الاكفان. ﴿أُوْلَـئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَـنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْـهَارُ خَـالِدِينَ فِـيهَا وَنِـعْمَ أَجْـرُ الْعَامِلِينَ﴾[1].

فلما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ، وهو يتلوها ويبتسم، فقال لأصحابه: مَنْ يدلّني على هذا الشاب التائب؟

فقال معاذ: يا رسول الله، بلغنا إنّه في موضع كذا وكذا.

فمضى رسول الله بأصحابه حتى انتهوا الى ذلك الجبل، فصعدوا اليه يطلبون الشاب، فاذا هم بالشاب قائم بين الصخرتين، مغلولة يداه الى عنقه، قد اسودّ وجهه، وتساقطت أشفار عينيه من البكاء وهو يقول:

سيدي قد احسنت خلقي، واحسنت صورتي، فليت شعري ماذا تريد بي؟

أفي النار تحرقني، أو في جوارك تسكنني؟

اللهم إنك قد اكثرت الاحسان اليّ فانعمت علي.، فليت شعري ماذا يكون آخر أمري؟ الى الجنة تزفني أم الى النار تسوقني؟

(١) آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦.

اللهمّ إن خطيئتي أعظم من السماوات والأرض، ومن كرسيّك الواسع وعرشك العظيم، فليت شعري تغفر لي خطيئتي، ام تفضحني بها يوم القيامة.

فلم يزل يقول نحو هذا، ويبكي ويحثو التراب على رأسه وقد احاطت به السباع، وصفّت فوقهن الطير، وهم يبكون لبكائه.

فدنا منه رسول الله ﷺ فأطلق يديه من عنقه، ونفض التراب عن رأسه، وقال: يا بهلول ابشر فانك عتيق الله من النار.

ثم قال لأصحابه:

هكذا تداركوا الذنوب كما تداركها بهلول[1].

وأما توبة الانبياء، فيكفيك منها ما بلغك من توبة داود النبي صلوات الله وسلامه على نبينا وآله وعليه السلام.

وقد روي إنّه لما علم بعد نزول الملكين انهما نزلا لتنبيهه على الخطأ، خرّ ساجداً اربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة، ولوقت صلاة مكتوبة... تمام أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي، حتى نبت العشب حول رأسه، وهو ينادي ربّه عزّ وجلّ (بلسان

(١) امالي الصدوق: ٤٥، المجلس ١١، ح ٣.

محرق للقلوب)(١).

ويسأله التوبة، وكان يقول في سجوده(٢):

سبحان خالق النور... الهي جرح الجبين وفيت الدموع، وتناثر الدود من ركبتي، وخطيئتي ألزَم بي مِن جلدي.

فأتاه نداء: يا داود! اجائع انت فتطعم، ام ظمآن انت فتسقى، أم مظلوم انت فتنصر، ولم يجيبه في ذكر خطيئة.

فصاح صيحة هاج ما حوله ثم نادى: يا رب الذنب الذي اصبته.

فنودي: يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك، فلم يرفع رأسه حتى جاءه جبرئيل فرفعه(٣).

وقد جاء في بعض الروايات انه استمر بعد توبته ينوح على ذنبه الى ان يغشى عليه، وكان يموت كثيراً ممن حضر من شدة نياحه وبكائه.

---

(١) من المصدر.

(٢) هكذا في المصدر، واما ما ترجمه المؤلف رحمه الله: (مناجاته).

(٣) عرائس المجالس: ٢٨٢ ـ ٢٨٤.

وبالجملة: يلزمه ان يكون الندم والتضرع والابتهال والبكاء والدعاء عند التوبة كمّاً وكيفاً مناسباً لعظمة الذنب وكثرته.

والاولى ان يدعو الله حين الاستغفار بأسمائه وصفاته التي تناسب مقام التوبة، بل التي تناسب الذنب الذي تاب منه ان كانت توبته من ذنب معيّن، وان يكون حاله وهيئته ولباسه وحركاته على ما هو اجلب للرحمة والعطف باظهار الملق والاستكانة والخوف، وان يدخل من الابواب التي تليق بحاله ان يدخل منها.

وكيفما كان فليدخل من الباب التي تناسب حاله من ابواب الرحمة والاهلية، واذا لم يتمكن ان يدخل من جميع الابواب فلا محالة انه يمكن ان يدخل من باب عدم اليأس الذي يدخل منه ابليس:

«يا من أجاب لأبغض خلقه ابليس حيث انتظره لا تحرمني من اجابتك».

وبالجملة: فليعلم ان باب التوبة مفتوح ما لم يعاين الموت ولو كان ذنبه لا يوصف.. وليعلم أيضاً أن اليأس من رحمة الله عزّوجلّ من أعظم الذنوب ولم نجد ذنباً أعظم منه، وقد اتجرأ وأقول: انّ اليأس من رحمة الله أعظم من قتل الأنبياء عليهم السلام ـ بوجه من الوجوه ـ.

وباختصار: من المهمات التي على السالك ان يعرفها: ان همّ

الشيطان في أن يمنع الانسان ـ أيّاً كان ـ من طريق الله تعالى، واذا لم يقدر عليه من الطرق الطبيعية في هوى النفس، فانه يرجع ويأتيه من طرق الشرع والعقل بشكل خفي، واذا لم يقدر ان يغلبه من هذه أيضاً فانه يقول له: قد انقضى امرك. فانك لا تقدر ان تتوب توبة حقيقية، فللتوبة الحقيقية شروط، أين أنت من تلك الشروط للتوبة؟ واذا لم تقوم بشرائطها فعدم التوبة خير من التوبة الكاذبة.

وبالاضافة الى ذلك يقول: انك اذنبت ذنوباً كثيرة بحيث صرت غير مؤهل لقبول التوبة، وغير موفق للتوبة.

فاذا قبل السالك كلامه هذا فانه سوف يغلبه ويكون مغلوباً منه لانه قبل ذلك، وقد تحققت بذلك غايته، واما اذا اجابه على أقواله تلك، وردّها، وقال له:

أوّلاً: ان الرحمة الالهية التي يمكن تصورها هي رحمة بحيث لم تيأسك انت نفسك من رحمته، وقد استجاب تعالى دعاءك.

وثانياً: اذا كنت غير قادر على ان اتوب توبة حقيقية تامة، فاني افعل مقدار ما يمكنني ان اقوم به فلعل الله عزّ وجلّ الرحيم يوفقني لاكثر من ذلك لانني تبت بهذا المقدار الذي امكنني فعله فأفعل شيئاً اكمل من السابق، فاذا فعلت ذلك يوفقني أيضاً الى الافضل، الى ان يوصلني الى التوبة الكاملة، كما جرت عادة الله

عزّ وجلّ بذلك.

واني اذا قبلت ذلك فان فيه هلاكي القطعي الذي لا نجاة بعده ابداً... وان نفس هذا اليأس انما هو من الذنوب الكبيرة الموبقة، ولعل بسببه يعجل العذاب ويكون سبباً لزيادة العذاب وخسران الدنيا والآخرة.

وعلى كل حال فلو كنت قتلت سبعين نبيّاً ـ والعياذ بالله ـ عليك ان لا تيأس وتترك التوبة، فان اليأس وترك التوبة هلاك قطعي ويكون سبباً لزيادة العقوبة، بينما يوجد في التوبة احتمال النجاة التامة ويوجد في التوبة أيضاً النجاة من عقاب نفس اليأس وترك التوبة.

وهناك جواب آخر قوي وشافي لوسوسة هذا الخبيث وهو ان تقول له: انك تقول لي بانك لا تستطيع ان تتوب توبة نصوحة.. نعم، إذا لم تشملني عناية الله عزّ وجلّ فان التوبة الكاملة غير ممكنة، بل سوف لا اقدر حتى على التوبة الناقصة.. ولكني اذا شملتني عنايته جل جلاله فسوف يمكنني الوصول الى جميع المراتب والمقامات العالية منها مما لا تخطر على البال.

واذا قال: من اين ستطلك عنايته؟

فقل: من أين لك بان عنايته سوف لا تصلني؟

فان قال: ان عنايته تحتاج الى الاهلية.

فقل: من أين حصل اولئك الأكابر على تلك الاهلية، أليس هو عزّ وجلّ قد وهبهم ذلك؟ فاني كذلك استوهبها منه عزّ وجلّ.

وان قال: ولكنك، من اين لك اهليّة كرمه، وفي مقابل أي عمل من أعمالك تتمنى ذلك؟ ألم تر انه لا يهب لكل احد؟

فقل في جوابه: اطلب ذلك بالاستجداء، فالشحاذ يطلب بالمجان.

وان قال: ومع ذلك فانه لا يعطى للشحاذ كل شيء.

فقل: لعلهم لم يكونوا مجدين في الاستجداء.

وان قال: انك عصيت، وان حكم الحكم الالهي جلّ جلاله هو ردّك، وعدم قبولك.

فقل: لا يجب في حكم الجبار والقهار ان يغضب على كل عاصٍ وان يردّه.

وان قال: فاين تظهر قهارية الله تعالى اذن.

فقل: تظهر مع امثالك الذين عاندوا الله جلّ جلاله ويدخلون اليأس على عباده ويمنعونهم في الامتثال بين يديه عزّ وجلّ خلافاً لدعوته.

وان يقول: ان استحاقك للعقاب امر قطعي، وان وعده بعذاب عاصيه قطعي أيضاً بينما اجابتك وان تعطى لاستجدائك امر احتمالي. فقل انك مشتبه وغافل عن وعده بالاجابة والقبول، ولو ان سلطاناً عمل خلاف وعيده فسوف لا يكون ذلك قبيحاً، ولكن الذي لا يحتمله احد على الله عزّ وجلّ خُلْف الوعد.

وان قال وجهك اسود من الذنوب، وحالك رديء، فبأي وجه تذهب الى حضيرة قدسه؟ فقل: اذا كان وجهي اسود فاني اذهب متوسلاً بأنوار وجوه اوليائه المشرقات.

وان قال: انك لا تملك اهليّة التوسل بهم أيضاً.

فقل: فأني أتوسل اليهم أيضاً بمحبيهم.

وباختصار: الحذر الحذر من ان تنطلي عليك حيلة، وتيأس من رحمة الله الواسعة، وقل بجوابه: لو طردت عن هذا الباب ألف مرّة فمع ذلك فاني لا ارجع عنه فكيف وان هذا الباب باب لم يسمع لحد الآن ان احدكم متضرعاً ومستجدياً آملاً رحمته ورجائه، فرجع يائساً، كما ان فرعون مع ما هو عليه استجدى ليلة فلم يرجع يائساً وانما اجيب كما اجبت انت.

وعلى كل حال: فلو طُردت من هذه الباب، فسوف اجيء من باب آخر.

ونقل في الحديث النبوي ﷺ :

«*لو قتل احدكم سبعين نبياً ثم تاب قبلت توبته*».

وقد قبلت توبة وحشي قاتل حمزة سيد الشهداء مع كل ما ادخله من الفجائع على قلب رسول الله المبارك قلب الله الواعي ﷺ .

ألم تسمع ما قاله لكليمه : انه قال له :

اني اعفو عن كل واحد إلّا عن قاتل الحسين .

خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد في شهر ذي القعدة ، فقال :

«*يا أيّها الناس من كان منكم يريد التوبة ؟*

قلنا : كلنا نريد التوبة يا رسول الله .

فقال ﷺ *: اغتسلوا ، وتوضاؤا ، وصلوا اربع ركعات واقرأوا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة ، وقل هو الله احد ثلاث مرات ، والمعوذتين مرة ، ثم استغفروا سبعين مرة ، ثم اختموا بـ (لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم) ، ثم قولوا : يا عزيز ، يا غفار ، اغفر لي ذنوبي ، وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فانه لا يغفر الذنوب إلّا انت*» .

ثم قال ﷺ :

«*ما من عبد من اُمتي فعل هذا إلا نودي من السماء : يا عبد الله استأنف العمل ، فانك مقبول التوبة ، مغفور الذنب . وينادي ملك من تحت العرش ، ايّها العبد بورك عليك ، وعلى اهلك ، وذريتك* .

وينادي منادٍ آخر : ايها العبد ، ترضي خصماءك يوم القيامة .

وينادي ملك آخر : ايها العبد ، تموت على الايمان ، ولا يسلب منك الدين ، ويفسح في قبرك ، وينوّر فيه .

وينادي منادٍ آخر : ايّها العبد ، يُرضى أبواك ، وان كانا ساخطين ، وغفر لأبويك ذلك ، ولذريتك ، وانت في سعة من الرزق في الدنيا والآخرة .

وينادي جبرئيل عليه السلام *: أنا الذي آتيك مع ملك الموت (وآمره) أن يرفق بك ، ولا يخدشك اثر الموت انما تخرج الروح من جسدك سلّاً*» .

قلنا : يا رسول الله ، لو ان عبداً يقول في غير هذا الشهر ؟

فقال ﷺ *: مثل ما وصفت . وانما علّمني جبرئيل*

هذه الكلمات أيّام اسري بي ربّي.[(١)]

والخلاصة: فلو لم تكن التوبة الكامله سهلة، بل وكذلك التوبة الناقصة، فان فعل ذرة من الخير، أو كلمة خير، أو تسبيحة واحدة، او حمد واحد، أو تهليل واحد فانه بالطبع مفيد، وان تركه مضرّ.

وان كل فكرة تخطر للانسان ليترك هذا الخير القليل فانها من الشيطان قطعاً، وان الشيطان لا يقول للانسان بما في خيره قطعاً.

وقد تكون أحياناً كلمة الخير الجزئية سبباً للنجاة التامة للانسان، وذلك لأن في هذه الكلمة خير جزئي قطعاً، ففيها اثر ونور، وقد يكون هذا النور أحياناً سبباً للتوفيق الى خير ثاني، ولهذا الخير نور أيضاً، فيوفقه الى خير آخر.. وهلّم جرّا، فيوصل الانسان الى عالم النور.

وليس هناك مجال أبداً لانكار هذا القانون العام.

وغالباً ما ينال المؤمنون مقام التوبة الرفيع بالتدرج وذلك لأن التوبة مثل باقي المقامات الدينية لها مراتب متعددة.[(٢)]

---

(١) اقبال الاعمال: ٣٠٨.

(٢) يقول العارف الملكي في المراقبات:

اعلم انّك لا تنال خير الدعاء واجابته كاملاً إلّا إذا اتّصف سرّك وروحك وقلبك بصفات الدعاء. والاتصاف بصفات الدعاء عبارة عن أن يكون

مقام التوبة في مقام السلوك

نعم، تجب التوبة على طالب السلوك وسالك طريق الله

المنشيء بالدعاء سرّك وروحك وقلبك، مثلاً إذا قلت «يا من أرجوه لكلّ خير» تكون راجياً لله بسرّك وروحك وقلبك، ولكل منها آثار فليظهر آثاره في عملك، فمن تحقّق الرجاء في سرّه وحقيقته فكأنّه يصير رجاءً كلّه، ومن كان ذلك في روحه فكأنّه يكون حياته بالرجاء، ومن كان راجياً بقلبه تكون أعماله التي تصدر عن قصد واختيار ملازمة للرجاء.

فاحذر أن لا يوجد شيء من شؤونك شيء من الرجاء. واعتبر ذلك من أعمالك فانظر هل ترى في حركاتك أثر الرجاء وهو الطلب أم لا؟ أما سمعت قول المعصوم عليه السلام «من رجا شيئاً طلبه»، وهو كذلك لأنّك ترى في أحوال الراجين من أهل الدنيا في الأُمور الدنيوية أنّهم إذا رجوا خيراً من أحد أو شيء طلبوه من هذا الشخص ومن هذا الشيء الذي رجوه فيه بقدر رجائهم، ألا ترى التاجر لا يفارق تجارته، والصانع ملازم لصنعته، فذلك كله من جهة أنّهم يرجون الخير في التجارة والصنعة. وهكذا كل فرقة يطلبون ما يرجونه ولا يفارقونه حتى ينالوا به، إلّا راجي الجنّة والآخرة، وإلّا راجي فضل الله وكرامته غالباً.

هيهات هيهات هذه الآثار للصفات ممّا حكم به الله الحكيم، ولا ترى تغيّراً لسنّة الله، ولكن التخلّف في اشتباه الدعوى بالحقيقة، وإلّا فلا يوجد ذرّة من الرجاء إلا وعنده مثله من الطلب وهكذا.

هذا وقسّ على الرجاء غيره من مطالب الدعاء من التسبيح والتهليل والتحميد والتضرّع والاستكانة والخوف والاستغفار والتوبة، فإنّ كل ذلك لها حقائق ودعاوى، فالأثر للحقيقة، ولا خلف. *(المترجم)*.

عزّ وجلّ في أول قدم له يضعه في هذا الطريق.

ومن المستحسن له في مقام قيامه بالتوبة ان يأتي بالعمل الذي رواه السيد الأجل في (الاقبال) في اعمال شهر ذي القعدة، وتفصيله.

ومن المستحسن لمن يريد التوبة ان يعدّ دفتراً بعد يومين أو ثلاثة من القيام بهذا العمل، ويتدبر في ايامه الماضية من صغره الى يومه الذي هو فيه، ويسجل في هذا الدفتر كل ضمان، أو حق للآخرين تعلق بذمته، فان الضمانات المالية تثبت حتى على الصغير أيضاً.

ويسجل بعد ذلك كل حق من حقوق الله ضيّعه، أو عبادة تركها في حال كبره.

بل من المستحسن ان يرسم جداول لكل عضو من اعضائه لأجل أن تكون محاسبته لنفسه اكثر دقة، ومن ثم يصنع جداول تحت ذلك الجدول لجميع ما يمكن أن يتصوره من الحقوق الواجبة على ذلك العفو.

ثم يفكر جيداً في كل واحد منها هل قصّر في اداء واجب منها، أو ارتكب حراماً، أو ان هناك حق ثبت في ذمته ولم يف به.. ويترك جدولاً فارغاً للأشياء التي لم يستحضرها الى حين يتذكرها.

ثم بعد ذلك يثبت الاشياء التي حدثت منه.

مثلاً يرسم جدولاً للعين... ومن ثم يرسم جداول لكل معصية من معاصي العين مثل النظر الى المرأة الاجنبية، والنظر الى الشاب الجميل، والنظر الى عورة المؤمن، والنظر الى داخل بيوت الناس، والنظر الى كتابات الآخرين الذين لا يقبلون باطلاع الغير عليها، والنظر لاخافة المؤمن، والنظر بغضب بوجه الوالدين، أو بوجه الارحام، أو بوجه العلماء، او بوجه مطلق المؤمنين بدون مرجح شرعي، أو النظر اليهم على نحو الاستهزاء، او على التوبيخ والتشفي، أو نظرة اهانة، أو نظرة تكبر وتعالٍ، أو النظرة التي يريد بها أن يظهر أو يشير الى عيب مؤمن، أو النظرة التي يراد بها ان يكشف شيئاً اخفاه المؤمن عن الظالم الذي يريد ان يغتصب ماله، أو النظرة التي يراد بها ان يكشف عن المؤمن الذي اخفى نفسه عن الظالم الذي يريد اعتقاله.

وقد تكون النظرة في بعض الاحيان علة تامة لقتل نفس، أو قتل نفوس، أو غصب اموال، وحينئذٍ يلزم الناظر الضمان.

وليكن امام نظر الناظر ان الله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**﴾[1].

---

(١) غافر: ١٩.

وهكذا بالنسبة الى حقوق ترك النظر، والاغماض... وهكذا بالنسبة الى حقوق باقي الاعضاء خصوصاً اللسان الذي لا حد ولا حصر لحقوقه.

وبالاختصار: فليتدارك الحقوق المالية والاستحلالية اما بالاداء والاستحلال من اصحابها.

فالعملية (وهي التي تحتاج الى عمل زائد يقوم به التائب من أجل تحصيل ذمته كارجاع الحقوق المالية الى اصحابها، والسعي لطلب ابراء ذمته ممن استغابهم.. وما الى ذلك).

وأما الحقوق التي لا يمكن تداركها لانها خرجت عن قدرته (كموت المستغاب مثلاً) فليتصدق عن اصحاب الحقوق بالخيرات والمبرّات والاعمال الخيرية بمقدار ما يستحقون.

واما الحقوق التي تحتاج الى كفاره فليؤدي كفارتها.

واما الحقوق التي تحتاج الى قصاص فليقتص من نفسه.

واما التي من قبيل الشبهات ولا يمكنه أن يؤديها فليعمل فيها المصالحة الصحيحة الشرعية.

وبعد القيام بكل تلك الاشياء فليأتي بذلك بالعمل الشريف المروي في الاقبال.. ويقرأ دعاء التوبة في الصحيفة السجادية.. ويذكر المعاصي الكبيرة التي يستحضرها في ذهنه، ويرفقها بالنعم

الخاصة للحق جلّت آلاؤه عليه، ويتذكر قدرته على اخذه والانتقام منه.. ويتذكر صدور كل تلك الامور المخزية من امامه وفي حضوره جلّ جلاله، مع انه تعالى متلطف بأنعامه عليه بالآف النعم المختلفة.. ثم ليحثو التراب على رأسه، ويتمرغ بالتراب، وليطوق رقبته بيده المينى، ويلصق يده اليسرى بصدره، متشبها بغلّ اهل العذاب حيث يقيّدون أيديهم اليمنى برقابهم، ويلصقون أيديهم اليسرى بصدورهم ويخرجونها من قفاهم، ويعطونهم كتبهم بأيديهم اليسرى، ولعل بذلك يتحقق معنى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ﴾[1].

وليذكر أحياناً الخوف من العذاب وشدة نار جهنم... وليتذكر أحياناً أُخرى حيّاتها وعقاربها... وليستعرض أحياناً أُخرى سلاسلها وأغلالها...

وفي الخبر في تفسير ﴿فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾[2] ان طول ذراعها عدة فراسخ من فراسخ الدنيا، وهي تُدْخَل من رأسه، وتخرج من دبره.

وليتذكر أحياناً أخرى شدة وضخامة وهيئة الملائكة الغلاظ والشداد...

(١) الانشقاق: ١٠.

(٢) الحاقة: ٣٤.

وليتذكر إقرانه بالشياطين.. وليتذكر طعام وشراب الزقوم والضريع وغسلين..

وليفكر في: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ * يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾[١].

وليتخيل ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾[٢]... وفوق كل ذلك فليتأمل انه وبعد آلاف من السنين يأتيه النداء: ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[٣].

وليقل بقلب محترق.. (يا أرحم الراحمين أرحمني إذا خرج من الزبانية نداء: اين جواد بن الشفيع؟ المسوّف نفسه في الدين بطول الأمل.. المضيّع عمره في سوء العمل)؟!

فيبادرون بمقامع من حديد ويستقبلوني بعظائم التهديد ويسوفونني الى العذاب الشديد، وينكسونني في قعر الجحيم. ويقولون: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٤].

واسكنوني داراً يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير.

---

(١) الحج: ١٩ - ٢٠.
(٢) المعارج: ١٦.
(٣) المؤمنون: ١٠٨.
(٤) الدخان: ٤٩.

شرابي فيها الحميم، ومستقري الجحيم. الزبانية تقمعني، والحاوية تجمعني. امنيتي فيها الهلاك، ومالي منه فكاك. قد شدّت الأقدام بالنواصي، واسوَدّت الوجوه من ظلمة المعاصي.

ننادى من اطرافها، ونصيح من أطرافها:

يا مالك قد حق علينا الوعيد... يا مالك اخرجنا فإنّا لا نعود.

فنجاب:

هيهات... ولات حين أمان ومناص، ولا خروج لكم من دار الهوان، فـ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾. ولو اخرجتم منها لكنتم الى ما نهيتم عنه تعودون.

فعند ذلك يحصل القنوط البتة، ويجيء الاسف العظيم، والندم الأليم فنكبّ على وجوهنا في النار... النار من فوقنا.. والنار من تحتنا.. والنار من أيماننا والنار عن شمائلنا فنكون غرقى في النار.. طعامنا النار.. شرابنا النار.. فراشنا النار.. لباسنا النار... مهادنا النار.. فنبقى في مقطعات النيران، وسرابيل القطران، وضرب الماقمع، وثقل السلاسل نتجلجل في مضايقها، ونتحطم في دركاتها.. تغلي بنا النار كغلي القدور.. ونهتف بالويل والثبور، ولنا مقامع من حديد تهشم بها جباهنا، ويتفجر الصديد من افواهنا وتتقطع من العطش أكبادنا، وتسيل على الخدود احداقنا، وتسقط

من الوجنات لحومها، ويتمعط من الاطراف شعورها وجلودها.. وكلما نضجت جلودنا بدّلونا جلوداً غيرها.. قد عريت العظام من اللحوم، وما بقي من الدسوم رسوم، فبقيت الارواح منطوة بالعروق، ومع ذلك نتمنى الموت ونقول:

﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾(١) فيقول: ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾(٢).

وباختصار: اجمع كل ما في مقدورك من مراتب الضراعة والمسكنة والعجز والانكسار قولاً وفعلاً وهيئة ولباساً، لأن ذلك يؤثر على قلب الانسان. وان ذلك التأثر يؤدي الى غليان بحر الرحمة الالهية جلّت آلاؤه.

واذا اردت مصداق ذلك فانظر الى أعمال الأكابر عند مناجاتهم واستغفارهم، وما يفعلونه بانفسهم،.. مثلاً انهم يطوقون رقابهم بالسلاسل، ويجلسون على التراب، ويدخلون في داخل القبور... ويشخصون بعيونهم.. ويأخذون بلحاهم.

وهكذا فانظر الى حالة توبة قوم يونس على نبيّنا وآله وعليه الصلاة والسلام.. وأية حالة علمهم ذلك الحكيم المتربي في بيت النبوّة (حضرة روبيل)، وعندما اوقعهم في تلك الحالة رفع ذلك

(١) الزخرف: ٧٧.
(٢) الزخرف: ٧٧.

البلاء الذي نزل بهم عنهم في حين انه لم ير للتوبة فائدة بعد نزول العذاب، ولكن روبيل علمهم ان يفرقوا الاطفال عن امهاتهم، ويفرقوا بين السخال والنعاج، واخذوا العجول من امهاتها وجعلوها فوق قمم الجبال بينما تركوا اطفالها في بطن الوادي... ولبس الرجال الخرق، ووقعوا على التراب يتمرغون به ويضعونه على رؤوسهم..

فعجت الحيوانات تطلب العلف، والامهات تطلب سخالها وصرخت صغار الحيوانات جائعة تطلب اللبن...

وبكى اطفال اولئك القوم يطلبون اللبن وامهاتهم.

وفزعوا هم انفسهم من خوف العذاب، وشدة الهول ما يرونه من اصفرار الشمس وهبوب العواصف وما يشاهدون من رياح العذاب، واسوداد وجوههم.. ففزعوا للتضرع والشكوى وهم يصرخون:

يا ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ حتى وصل نداء «يا ارحم الراحمين» الى اوج الفلك، وبشكل عام فانهم ضجوا ضجيجاً شديداً حتى رفعت دعوة نبيهم وغضبه عليهم بعد نزول العذاب.. فغلى بحر رحمة ارحم الراحمين، ووصل الامر الى اسرافيل اني قد عفوت عن قوم يونس فاصرف

العذاب عنهم وادفعه على الجبال[1].

وعلى كل حال فيا اخي ان عادة الله عزّ وجلّ قد جرت بين عباده على منوال واحد.. فما زال لدينا ـ أنا وأنت ـ الوقت ما دام ان البلاء لم ينزل في الظاهر. فنحن قادرون ان نأخذ حظاً من بحار رحمة ارحم الراحمين وان نطفأ النار التي اشعلناها.

في ايام دراستي في النجف الاشرف، عَلِم سماحة العالم العامل الجليل والحكيم العظيم عديم البديل الآخوند الملا حسين قلي الهمداني قدس الله روحه احد طلاب طريق الاخرة عمل التوبة، فغاب ذلك الطالب ليومين او ثلاث لادائه تلك المهمة، وعندما جاء رأيناه قد تغير بدنه السمين فصار كانه بنصف ما كان عليه، وتغير لونه المملوء حيوية فصار اصفراً ومضطرباً، ولم يكن متوقعاً ـ كما جرت عليه العادة ـ ان تفعل الرياضات في يومين أو ثلاث ذلك المقدار من التغيير في شكله، فعلمنا انّه عمل ببطولة ورجولة.

وقد سمعت ان شخصاً آخر كان مجلس توبته ست ساعات اشتغل فيها بالبكاء والابتهال.

وباختصار: يُحتاج الى جدّ غير محدد، فالعمل لا يتحسن بلا

(١) راجع في تفصيل القصة: تفسير القمي ١: ٣١٧ ـ ٣١٨.

جدٍ أو بالهوى والرغبة، ويمكنني ان أقول: ان بكاءنا ليس ببكاءٍ واقعي وذلك لأن البكاء انما هو الذي يخرج من قلب محروق.. وإلا فليس كل دمع يخرج من العين هو بكاء.. والفضيحة هي اننا [illegible] حتى ذلك البكاء الكاذب، وذلك لانه لو استمر الانسان على هذا البكاء الكاذب فانه سوف يؤثر بالقلب وبالنتيجة يجر الى البكاء الواقعي الحقيقي.

والنتيجة: فانّه يتعلق على هذه التوبة التي يأتي بها العبد الامل الكبير، لان هذه التوبة علة تامة لوصوله الى المقصد والغاية، وذلك صريح آية عندليب الهداية ﴿**إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ**﴾، وكما قيل: ان محبّة الله عزّ وجلّ للعبد عبارة عن كشف الحجب والغاية الاساسية والمقصود الاصلي هو هذا وفقط فيا لها من درجة ما أعظمها وأعلاها.. ومن مقام ما أسناه وأبقاه.. ومن حال ما الذّه وأبهجه.

زاد الطريق

«المشارطة والمراقبة والمحاسبة»



يلزم سالك طريق الله عزّ وجلّ بعد التوبة: المشارطة، والمراقبة، والمحاسبة. وهي ان يشارط نفسه أوّل الصبح مشارطة الشريك في أعزّ وأنفس الأموال.

ثم يراقب نفسه مراقبة كاملة في أثناء النهار إلى وقت النوم.

ثم يحاسب نفسه محاسبة كاملة عندما يريد أن ينام عن كلّ ما استهلكه في هذه المدّة من وقته وقواه الظاهرة والباطنية، وما أنفقه فيها من النعم الإلهية، أو تلك التي ضيّعها وأهملها.

ويعمل بجميع ذلك حسب ما وضّحه علماء الأخلاق، ونرجع تفصيلها إلى الكتب المؤلّفة في الاخلاق ـ وفي الواقع انّها كتبت بشكل جيّد ـ ولكنا مع ذلك نشير هنا إلى عدّة فقرات لأهميتها ولأنها مؤثّرة جدّاً.

المحاسبة عند النوم

على الإنسان أن يحاسب نفسه عند النوم ويشتدّ بذلك عليها بما يطيق ويخلط المحاسبة بالعلاج، ثم يتوب بالحال عن الجرائر

التي يمكنه أن يتداركها في هذا الوقت، ويعزم جاداً على التوبة من الجرائر التي تحتاج إلى وقت آخر لتلافيها.

وليعلم انّه ينام الآن، وان النوم في الواقع أخو الموت كما هو صريح الآية الكريمة، يقول تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى﴾[1]، فيلزمه عموماً أن يعدّ عدّة الموت، بتجديد عهد الإيمان.

آداب النوم

وأن يتوجّه إلى القبلة متطهّراً، وان يوجّه قلبه إلى القبلة الحقيقية.. وان يسمّي باسم الله عزّ وجلّ.. وأن يأتي بالأعمال الواردة عند النوم بقدر استطاعته.. وان يسلّم روحه ونفسه لله جلّ جلاله.. وأن لا يترك الأعمال المهمّات الواردة عند النوم وهي:

أوّلاً: أن يقول حين دخوله بفراش النوم: «*بسم الله الرحمن الرحيم*» من قلبه ولسانه.

وأن يقرأ الآية المباركة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ

(١) الزمر: ٤٢.

أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[1] بتدبّر.

وأن يقرأ الآية المباركة: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2] بتدبّر.

ويسبّح تسبيح الزهراء صلوات الله وسلامه عليها.

وأن يقرأ آية الكرسي[3].

وأن يقرأ سورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرّات، أو احدى عشرة مرّة.

ويقول: «*يفعل الله ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزّته*» ثلاث مرّات.

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) البقرة: ٢٨٥.

(٣) البقرة: ٢٥٥.

ويقرأ الآية المباركة: ﴿شَهِدَ اللّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[1].

وإذا استغفر بالاستغفار المروي، أو مطلق الاستغفار فهو جيّد أيضاً.

ولينتبه لعلّ الله تعالى الجواد ان يمنّ عليه في نومته هذه كما منّ على الأنبياء والأولياء والمؤمنين بمواهبه العظيمة حين نومهم. وان يعلم أن الله عزّ وجلّ أعطى لبعضهم حين نومة القيلولة معرفة النفس، فرأى كأنّما رفع العالم وأشرقت حقيقة نفسه، وكأنّها متّحدة مع حقيقة ملك الموت، ولعظمة هذا الحال انتبه من نومه فرأى كأنّ حقيقته تجذب بدنه إليها، وهاله ذلك فنادى على ضجيعته بدون وعي: لماذا صرت انا هكذا.. حتّى ذهبت عنه تلك الحالة.

فما أكثر المعارف التي كشفت للسالكين في الأحلام. وما أكثر المقامات التي منّ بها على السالك برؤية الأنبياء والأئمة عليهم السلام وعظماء الدين في المنام.

---

(١) آل عمران: ١٨.

وقد ورد في الحديث في تفسير ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾[1] ان البشرى في الدنيا:

«*هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو تُرى له*»[2].

وقد حصل هذا العبد الذليل على كثير من آماله في المنامات التي رأى فيها المعصومين عليهم السلام وقد تلطّفوا عليّ فيها بألطاف عظمى، حتّى صرت في أكثر الأوقات أحسّ بلذة وراحة حينما أريد أن أنام نتيجة تلك اللّذة التي حصلت عليها من تلك الأحلام، فإني أنام بأمل ورجاء الحصول على تلك الأحلام.

وقد قال لي أحد الأشخاص: وهل هو إلّا رؤية تراها في النوم، ولو ان ذلك جيّد؟

فقلت: وإنّي أرضى بذلك.

با ياد خوشت خسبم در خواب خوشت بينم

از خواب چو برخيزم اوّل تو بياد آئى

يعني: أنام وأنا في ذكراك الحلوة على أمل أن أرى جمالك في نومي، وعندما أستيقظ من نومي فأنت أوّل شيء يأتي على بالي.

---

(١) يونس: ٦٤.

(٢) مجمع البيان ٣: ١٢٠.

وعلى كلّ حال، فبعد قراءة تلك الآيات، فإن حصل له حالة التأمّل والتفكّر فلينم وهو مشغول بالتأمّل والتكفير، فإنّها الكرامة، وإلّا فليشتغل بذكر من الأذكار الى أن ينام وهو على حالة الذكر، وعندما تختلط نفسه بالذكر في الأخير حينما يكون بين اليقظة والمنام ويقل لسانه على الحركة، فليقل (يا الله) أو لفظ الجلالة وحده، فإنّه مفيد جدّاً، فلو غلبه النوم وهو على هذه الحالة فستحصل له أشياء كثيرة فهو نائم ولكن نفسه يذكر بشكل واضح حتّى ان المستيقظين يسمعونه أحياناً.

آداب الاستيقاظ من النوم

الخلاصة: عليه أن يسلّم نفسه من أعماق وجوده لله جلّ جلاله. أن يتذكّر أوّل شيء حينما يستيقظ انّه أُعيدت إليه روحه، وهذا الاستيقاظ نظير الاحياء بعد الموت. وهو نعمة جديدة. وذلك فإن الآلاف ناموا ولكنّهم لم يستيقظوا إلا في القبر بعدما سلب منهم القدرة على العمل فيقولون.. ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ﴾ فيُجابون ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾.

وحينما يتسيقظ يسجد سجدة الشكر، وليقل لنفسه: انّك لم يقال لك (كلا)، وقد أُرجعت، ويمكنك في يقظتك هذه أن تصلح كلّ ما سبق منك، وتستدرك ما فاتك فتكون من المقربين.

المحاسبة والمراقبة

وعلى كلّ حال: عليك أن تتاجر في خلال هذا اليوم لكي تربح به خير الدنيا والآخرة، بل تاجر تجارة يكون ربحها هو قرب الله الجليل الجميل تعالى جلّ جلاله.

وان هذا المال الذي قد أعطيته حالياً، فسوف يسلب منك بسرعة قطعاً. إذن لتكن كلّ همّتك في هذه المهلة بطلب رضاه جلّ جلاله، وان كانت لديك همّة الرجال فاركل ما سوى المخفي عن الأعين من الدنيا والآخرة، وقل: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾[1]، وليكن كلّ تفكيرك وذهنك وحواسك عند الله جلّ جلاله، ولا تتمنى شيئاً عند محضره الشريف غير فضله وقل:

ليست عندنا أُمنيه نتمناها منك غيرها.

فاحذر أن يستولي التفكير بالدنيا على قلبك، واحذر ان تبعدك غصص معيشتك في الدنيا عن المطلوب الحقيقي، لأن في ذلك الخسران المبين، وهو أيضاً يتعارض مع حق العبودية، كما لو فكّر عبيد اسياد هذه الدنيا بخبزهم فإنّ ذلك يعدّ فضولاً منهم، ويسبب غضب أسيادهم.

---

(١) الانعام: ٩١.

وأضف إلى هذا ان الاهتمام بالبطن والفرج والمال والجاه انّما هو أخلاق الأراذل والسفلة وبادي الرأي في هذه الدنيا الدانية، أفليس من المؤسف أن يصرف الإنسان رأس ماله الذي يستطيع أن يكسب عالم القرب إلى حضيرة قدس ملك الملوك تعالى؟ بهذه الدنيا الدانية الفانية التي هي لا شيء، خصوصاً إذا لاحظنا انّ النصّ والتجربة يحكمان ان الأعمال الدنيوية ليست بالعمل والجهد، وانّما لكلّ شخص رزق معلوم وسوف يحصل على ذلك الرزق المقسوم منه حتّى لو فرّ منه وانهزم[1].

وحتى لو كان الحصول على الغايات الدنيوية متوقّف على سعي الإنسان، فعليه أن يحصلها من طريق الله عزّ وجل، يعني أن يحصلها من طريق التوكل على الله عزّ وجل.، فإن أحسن طرق تحصيل العافية هو طريق التوكل، وليس بالجد والجهد، فسوف لا يبقى للإنسان من التفكّر والمرارة والجهد من أجل تحصيل الأُمور الدنيوية إلا الخسران والخزي، لا سيما انّه ورد في الأخبار ما من أحد أصبح وأكبر همّته الدنيا إلاّ ابتلي.

وعلى العموم، فإذا لا يمكنك أن تترك تحصيل الدنيا من غير محبة الدنيا أيضاً، فلا أقل أسعى أن تحصلها من الطريق المستقيم،

(١) راجع التمحيص: ٥٢، ح ٩٩.

ولا ترتضي أن ينطبق عليك خسر الدنيا والآخرة، وقل:

بجد وجهد چه كارى نمى‌رود از پيش

بگرد كار رها كرده به مصالح خويش

يعني: لا يتطوّر أي عمل بالجدّ والجهد

فاطلق العمل يتحرك نحمو مصلحتك

وقد وردت في الأخبار الصريحة انّ من يتوكّل عليه تعالى فإنّه لا يكلّه إلى غيره.

وقد ورد في الحديث القدسي الذي رواه ثقة الإسلام الكليني في الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام:

«انّه قرأ في بعض الكتب أن الله تبارك وتعالى يقول: وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأُقطعنّ أمل كلّ مؤمّل غيري باليأس. ولأكسونّه ثوب المذلّة عند الناس، ولأُنحينّه عن قربي. ولأُبعدنّه عن وصلي.

أيؤمل غيري في الشدائد، والشدائد بيدي؟ ويرجو غيري، ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة، وبابي مفتوح لمن دعاني.

ومن ذا الذي أمّلني لنوائبه وقطعته دونها؟

ومن ذا الذي رجاني لعزيمةٍ فقطعت رجاءه منّي؟

جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي.

وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي، فلم يثقوا بقولي. ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي إنّه لا يملك كشفها أحد غيري؟ أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أُسئل فلا أُجيب سائلي؟!!

أبخيلٌ أنا فيبخلني عبدي؟!!

أليس الجود والكرم لي؟

أو ليس العفو والرحمة بيدي؟

أولستُ أنا محلّ الآمال؟

فمن يقطعها دوني. أفلا يخشى المؤمّلون أن يؤمّلوا غيري؟ فلو أن أهل سماواتي وأرضي أمّلوا جميعاً ثمّ أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من مُلكي مثل عضو ذرةٍ وكيف ينقص مُلك أنا قيمها؟!!

فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني، ولم يراقبني»[١].

---

(١) الكافي ٢: ٦٦.

وروي عنه عليه السلام أنّه قال:

«أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهنّ إلّا جعلت له المخرج من بينهنّ وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته إلّا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه وأسخت الأرض من تحته ولم أُبال بأيّ وادٍ هلك»[١].

ويقول عليه السلام:

ان الغنى والعزّ يجولان، فإذا ظفرا بمواضع التوكّل أوطنى»[٢].

وعلى العموم فلو لم يكن في هذا الباب إلا قوله تعالى في الآيه الكريمة: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[٣] لكفى أهل الايمان أن يقولوا: بلى ان الله كاف عبده، ويطمئنوا بذلك وحصروا عزمهم وهمّتهم عليه جلّ جلاله. ولاستمرت قلوبهم حزينة خوفاً من أن يحرموا الوصول إلى المقامات العالية لأنّهم ما بقوا في الدنيا فإن كلّ

---

(١) الكافي ٢: ٦٣.

(٢) فقه الإمام الرضا عليه السلام: ٣٥٨، باب ٩٦، ح ٣.

(٣) الزمر: ٣٦.

ما فتحت لهم باب منزل ورتبة من مراتب الحال من مقامات المعرفة والقرب، فإنّه يبقى أمامهم ذلك الذي هو فوق التصوّر.

نعم إنّ من مختصات أمير المؤمنين عليه السلام:

«*لو كشف الغطاء*»[1].

ولا بدّ أن يكون حزن السالك مستمراً معه على الدوام، وان يكون:

«*... حزنه في قلبه وبشره في وجهه، وحزنه في الباطن وبشره في الظاهر*»[2].

وفي الخبر أن هذا الحزن وصلة بين العبد وربّه فما دامت هذه الوصلة موجودة فإنّه لا تنقطع العلاقة بين العبد والربّ عزّ وجل.

وان يستحضر في باطنه دائماً وفي جميع الأوقات حالة التوسل بوجه الله وخليفة الله ونور الله الأنور وضيائه الأزهر وحجّته العظمى صاحب الوجود المبارك وخاتم الأوصياء وإمام العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف، وان يكون منتظراً ظهور نوره المبارك وأيّام حكومته أرواح العالمين له الفدى.

(١) شرح نهج البلاغة ٧: ٢٥٣.
(٢) بحار الأنوار ٧٨: ٧٣، ح ٤١.

وان يداوم في تعقيب الصلوات الخمسة على ذكر «*اللهمّ عرفني نفسك*»[1] ويداوم على قراءة سورة التوحيد المباركة ثلاث مرات بالنيابة عنه عجّل الله تعالى فرجه الشريف.. وان لا يترك قراءه دعاء العهد في كلّ صباح.

وعلى العموم فبما انّه لا يملك الأهليّة للتوجه بنفسه إلى القدوس تعالى، فليقل من ظلمات المعصية والغفلة المظلمة، والحيرة، والخلق:

«*اللهمّ ان ذنوبي قد اخلقت وجهي فإنّي أتوجه إليك بوجه خليفتك المشرق عندك*».

حفظ اللسان

وليكن جادّاً في جميع الخيرات وبالأخص في تأديب لسانه الميمون الذي لا يوجد عضو من أعضائه بمثله صعب العلاج والتأديب ويحتاج للرعاية والاهتمام بقدره.

وبشكل عام: ان هذا صعب بدرجة كبيره ورعايته مهمة. وآفاته خطرة، ولذلك فمع ان شرف حقيقة الكلام مقدّم على الصمت

(١) الكافي ١: ٣٣٧.

والسكوت قطعاً وبشكل مسلّم، ولكن الأطباء الروحانيين ـ أعني الأنبياء والأولياء والحكماء عليهم الصلاة والسلام ـ رجّحوا السكوت مطلقاً وقالوا: «ان كان كلامك من فضة فسكوتك من ذهب».

ويكفيك ما سمعته في الحديث القدسي المتقدّم في أمر الاهتمام بالسكوت؟

وبالجملة: فعليك أن تعلم انّه لا ينحصر تأثير اللسان وتدخله بموجود دون موجود آخر بل ان له ذلك التأثير سواء صدر من واجب الوجود جلّ جلاله أو من صاحب أدنى درجة من درجات الممكنات بالتصديق والتكذيب، والذم، والثناء، فينزل المتكلّم بكلمتين من أعلى عليين إلى أسفل الدركات، ويمكن أن يأخذه من أسفل الدركات إلى أعلى العليين، وقد يبتلي نفسه بكلمة واحدة تافهة بالكفر والنجاسة والعذاب المؤبّد، ومن الممكن أن يبتلي نفسه بعده درجات من الغشّ بكلمة واحدة، ويمكن أن تكون بكلمة واحدة عدّة كبائر من الافتراء والغيبة وتعيير المؤمن، وقتل آلاف النفوس من الأولياء، والرياء، والكبر، وتزكية النفس، وغير ذلك..

وليس في عمل اللسان مشقّة، وبالأخص فإن آفاته رقيقة ودقيقة جدّاً، وان العظماء يهتمون ويدققون في تشخيصها.

ومن هذا روي ان سيّد الأنبياء ﷺ جمع مع ثلاثة أنبياء عليهم السلام، وقال كلّ واحد منهم عليهم السلام، من عمل العمل الفلاني فإنّه عمل بكتابي... فقال ﷺ:

«من أصلح لسانه فقد عمل بجميع القرآن».

وتعدّ هذه الكلمة عند علماء الأخلاق من معاجزه ﷺ.

فلو ضمّ هذا الاجمال إلى حديث المعراج المتقدّم فإنّه يكفي للالتزام بالصمت.

أحكام أكل السالكين

ولابدّ أن يلاحظ الأدب في الأكل والنوم إلى حدّ ما.. امّا الطعام فمن لحاظ الكيف، عليه أن يهتم جدّاً بتطهير طعامه من الحرام والشبهات، وأن يمنع نفسه الى حدّ ما من أكل النُقل والأطعمة اللذيذة.. والأحسن في هذه المسألة أن يأكل للقوّة لا للذّة.

وكذلك يكون ميزانه الأعلى في الكم.

ولكن ميزانه الأوسط أن لا يعوّد نفسه على أكل النُقل، وان يجتنب الإفراط والتفريط في أكل اللحوم، لأن الإفراط فيه يوجب قساوة القلب، والتفريط فيه يورث شدّة القوة الغضبية، وامّا ميزانه

العدل فهو أن لا يتركه أكثر من ثلاثة أيّام، وأن لا يأكله في اليوم والليلة لمرتين، بل عليه أن يترك المرتين في بعض الأحيان.

وأما الكم فميزانه الأوسط هو أن لا يترك الأكل بحيث يضطرب ذهنه من الضعف والجوع، كما عليه أن لا يأكل كثيراً بحيث يثقله الطعام عن الفهم.

وبيّن حكماء الأخلاق ميزانه بقولهم: (كل الطعام وأنت تشتهيه واسحب يدك منه قبل أن تشبع).

ولو قدّم المبتدأ في أوّل أمره طرف الجوع إلى مقدار ما وبالخصوص إذا كان صائماً فهو أحسن على الظاهر.

قلّة النوم

وأما رياضة النوم فهي على ما قاله المرحوم ساكن العليين الآخوند الاستاذ ﷺ[1]: قلّل في كلّ يوم وليلة ساعة من المقدار الطبي، ويقولون ان الميزان الطبي هو سبعة ساعات، فليجعل منامه

(١) هو جمال السالكين آية المرحوم الآخوند الملّا حسين قلي الهمداني، كان أُستاذ الميرزا جواد الملكي وقد تلقّى التربية على يديه ـ على قول بعض المشايخ ـ ما يقارب الثلاثمائة من أولياء الله، وكان من جملتهم المرحوم الميرزا جواد الملكي. *(المترجم)*.

ستة ساعات، ولكن يجعل وقت نومه على نحو يمكنه أن يستيقظ في أواخر الليل، وذلك لأنّه يقول بأن جميع من وصل إلى المقامات الدينية كانوا من المتهجدين، ولم يرَ من غيرهم أحد.

تهجّد السالكين

وإذا أردت فضيلة التهجّد وقيام الليل والبكاء خوفاً من الله عزّ وجلّ وشوقاً له جلّ جلاله، وصلاة الليل فتكفيك الأخبار والآيات الواردة في هذا الباب، وأنا أذكر شطراً منها تذكرة لمن أراد أن يتذكّر:

منها: ما روي عن الباقر عليه السلام:

«كان ممّا أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران عليه السلام:

كذب من زعم انّه يحبني وإذا جنّه الليل نام عني.

يا بن عمران! لو رأيت الذين يقومون لي في الدجى وقد مثلت نفسي بين أعينهم وقد جللت عن المشاهدة، ويكلّموني وقد عززت عن الحضور.

يابن عمران! هب لي من عينك الدموع، ومن قلبك الخشوع، ومن بدنك الخضوع، ثم ادعني في ظلم

الليالي تجدني قريباً مجيباً»[١].

وروى عن النبي ﷺ:

«ان شرف المؤمن صلاته بالليل»[٢].

وروي:

«إذا جمع الله الأولين والآخرين نادى منادٍ ليقم اللذين يتجافون جنوبهم عن المضاجع يدعون ربّهم خوفاً وطمعاً فيقومون وهم قليل ثم يحاسب الناس من بعدهم»[٣].

وفي الصحيح عنه ﷺ:

«انّ في جنّة عدن شجرة تخرج منها خيل بُلق مسرجة بالياقوت والزبرجد ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول يركبها أولياء الله فتطير بهم في الجنّة حيث شاءوا.

قال: فيناديهم أهل الجنّة: يا اخواننا من أنصفتمونا.

ثم يقولون: ربّنا بماذا نال عبادك منك هذه الكرامة الجليلة دوننا؟

(١) أعلام الدين: ٢٦٣.
(٢) الخصال ١: ٧، باب ١، ح ١٩.
(٣) المستدرك ٦: ٢٣٩، ح ٦٩٥٢.

فيناديهم ملك من بطنان العرش: انّهم كانوا يقومون الليل وكنتم تنامون. وكانوا يصومون وكنتم تأكلون. وكانوا يتصدّقون بمالهم لوجه الله تعالى وأنتم تبخلون. وكانوا يذكرون الله كثيراً لا يفترون. وكانوا يبكون من خشية الله وهم مشفقون»[١].

وري أنّه ممّا ناجى الله به داود عليه السلام:

«يا داود! وعليك بالاستغفار في دلج الليل والأسحار.

يا داود! إذا جنّ عليك الليل فانظر إلى ارتفاع النجوم في السماء، وسبحني وأكثر من ذكري حتى أذكرك.

يا داود! ان المتقين لا ينامون ليلهم إلّا بصلاتهم لي، ولا يقطعون نهارهم إلا بذكري.

يا داود! ان العارفين كحلوا أعينهم بمرود السهر، وقاموا ليلهم يطلبون بذلك مرضاتي.

يا داود! انّه من يصلّي بالليل والناس نيام يريد بذلك وجهي فانّي آمر ملائكتي أن يستغفروا له وتشتاق إليه

(١) ارشاد القلوب ١: ٨٦.

جنّتي فيدعو له كلّ رطب ويابس»(١).

وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ:

«حسب الرجل من الخيبة أن يبيت ليلة ولا يصلّي فيها ركعتين، ولا يذكر الله فيها حتى يصبح»(٢).

وقيل: يا رسول الله ﷺ ان فلاناً نام البارحة عن ورده حتى أصبح.

قال ﷺ:

«ذلك رجل بال الشيطان في أُذنه فلم يستيقظ»(٣).

وروي عنه ﷺ:

«وما نام الليل كلّه أحد من الناس إلا بال الشيطان في أُذنيه، وجاء يوم القيامة مفلساً. وما من أحدٍ إلّا وله ملك يوقظه من نومه كلّ ليلة مرّتين يقول: يا عبد الله أقعد لتذكر ربّك، ففي الثالثة ان لم ينتبه يبول الشيطان في أُذنه»(٤).

---

(١) ارشاد القلوب ١: ٨٦.

(٢) ارشاد القلوب ١: ٨٩.

(٣) ارشاد القلوب ١: ٨٩.

(٤) ارشاد القلوب ١: ٩١.

وروي:

«ان البيوت التي يُصلّى فيها بالليل، ويُتلى فيها القرآن تُضيء لأهل السماء، كما تُضيء الكواكب الدرّية لأهل الأرض».

وانّه ﷺ قال في وصيّته لأمير المؤمنين عليهما الصلاة والسلام:

«وعليك بصلاة الليل. كرّر ذلك ثلاثاً»(١).

وقال ﷺ:

«ألا ترون إلى المصلّين بالليل هم أحسن الناس وجوهاً لأنّهم خلوا بالليل لله سبحانه فكساهم من نوره»(٢).

وسئل الباقر عليه الصلاة والسلام عن وقت صلاة الليل، فقال:

«هو الوقت الذي جاء عن جدّي رسول الله ﷺ انّه قال: ان لله تعالى منادياً ينادي في السحر هل من داع فأُجيبه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من طالب

---

(١) ارشاد القلوب ١: ٩٢.

(٢) ارشاد القلوب ١: ٩٢.

فأعطيه»[١].

ثم قال ﷺ :

«هو الوقت الذي وعد فيه يعقوب بنيه أن يستغفر لهم، وهو الوقت الذي مُدح فيه المستغفرين فقال: والمستغفرين بالأسحار.

وإن صلاة الليل في آخره أفضل من أوّله وهو وقت الإجابة. والصلاة فيه هدية المؤمن إلى ربّه، فأحسنوا هداياكم إلى ربّكم يحسن الله جوائزكم، فإنّه لا يواظب عليها إلّا مؤمن صدّيق»[٢].

وروي: انّه تعالى أوحى إلى بعض الصدّيقين:

«إنّ لي عباداً من عبادي يحبوني وأُحبّهم، ويشتاقون إليّ وأشتاق إليهم، ويذكروني وأذكرهم، [وينظرون إلي. وأنظر إليهم][٣].

وان حذوت طريقهم أحببتك، وان عدلت عنهم مقتّك. فقال: يا ربّ وما علامتهم؟

(١) ارشاد القلوب ١ : ٩٢.
(٢) ارشاد القلوب ١ : ٩٢.
(٣) من المصدر.

قال: يراعون الظلال بالنهار كما يراعي [الراعي] الشفيق غنمه، ويحنّون إلى غروب الشمس كما يحنّ الطير إلى وكره عند الغروب. فإذا جنّهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفرش، ونُصبتْ الأسرّة، وخلا كلّ حبيب بحبيبه، نصبوا إليّ أقدامهم، وافترشوا إليّ وجوههم، وناجوني بكلامي، وتملّقوا إليّ بأنعامي، ما بين صارخ، وباكي، ومتأوه، وشاك، وبين قاعد وقائم، وراكع، وساجد. بعيني ما يتحمّلون من أجلي. وبسمعي ما يشتكون من حبّي. أوّل ما أعطيهم ثلاث: الأوّل أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عنّي كما أخبر عنهم.

والثانية: لو كانت السماوات والأرض وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم.

والثالثة: أقبل بوجهي عليهم؟ أفترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أُريد أن أعطيه؟»[١].

وروي عن بعض العابدين يقول:

«رأيت في منامي كأنّي على شاطيء نهر يجري

(١) مسكن الفؤاد: ١٨ ـ ١٩.

بالمسك الأزفر، وعلى حافتيه شجر من اللؤلؤ، وقصب الذهب، وإذا بجوار مزيّنات لابسات لثياب السندس كأن وجوههنّ الأقمار وهن يقلن: سبحان المسبّح بكلّ لسان، سبحانه سبحان الموجود في كلّ مكان، سبحانه سبحان الدائم في كلّ الأزمان، سبحانه.

فقلت لهنّ: مَن أنتنّ؟

فقلن:

ذرأنـــا إله النـــاس ربّ مـــحمّدٍ ... لقومٍ عـلى الأطـراف بـالليل قـوّم

يـــناجون ربّ العـــالمين إلهـــهم ... وتسري حمول القوم والناس نـوّم

فقلت: بخٍ بخٍ لهؤلاء مَن هم؟

فقلنّ: هؤلاء المـتهجدون بـالليل بـتلاوة القـرآن، والذاكرون الله كـثيراً فـي السـرّ والاعـلان، المـنفقين المستغفرين بالأسحار»[1].

فانظر يا أخي إلى ما ورد فـي انّ الله تـعالى مـلكاً يـقال له (الداعي) فإذا دخل شهر رجب يـنادي هـذا المـلك كـلّ ليـلة إلى

(١) ارشاد القلوب ١: ٨٩ـ ٩٠.

الصباح:

طوبى للذاكرين. طوبى للطائعين، ويقول الله تعالى:

«أنا جليس من جالسني، ومطيع من أطاعني وغافر من استغفرني»[1].

فانظر ايّها الانسان المسكين إلى حالك إذا كنت مطيعاً لربّك، كيف تترقى إلى المقام الأسنى والدرجة العليا التي يعجز اللسان عن تعبيره، بل يتحيّر العقل عن تصويره، إذ تصير به إمـاماً لـلملائكة، وجليساً لربّ العالمين، بل مطاعاً لملك الملوك تعالى جلّ جلاله. وإن كنت عاصياً له، ومستخفاً لأمره بـالتهجد وهـوناً لدعـوته إلى مناجاته تكون مبالاً للشيطان، فما أفضح حالك، والتذاذك بـالنوم عن ربّ العالمين حيث أزالك عن درجـة المـقرّبين، وأبـهى مـقام الأكرمين، وألحقك بأسفل سافلين وسفلى دركات الأرذلين؟

ألست أنت الذي تتنافس في صحبة أشراف الدنيا؟ وتسعى كلّ سعيك فـي تـحصيل شـرف صـحبتهم، بـل تـبذل لذلك مـال واستراحتك بل تلقي نفسك في خطر الموت فـي تـحصيل شـرف مصاحبة سلطان زمانك، فأين أنت أيّها المسكين الطالب لتحصيل الشـرف، والبـاذل مـهجته فـي الوصـول إلى التشـرف بـصحبة

(١) اقبال الأعمال: ٦٢٨.

السلاطين.. فما هذا التواني والتسامح في اجابة دعوة هذا السلطان الحقيقي الذي لا تقاس سلطنة جميع السلاطين بعضو ذرّة من سلطنته العظيمة، بل وكلّ ما يوجد من السلطنة في المخلوقين إنّما هو أثر من آثار سلطنته العظمى، وظلّ من ظلال جلاله وسلطانه الأعلى. ومع إنّه ولي نعمك بالنعم التي لا تقدر على احصائها أنت، بل ولا قدر على ذلك أحد من المخلوقين، فما أخسرك في معاملتك مع هذا السلطان العظيم بهذه المعاملة التي لا تتعامل بها قطعاً مع سلطان وقتك من عبيده، بل ولا مع وزرائه وخدامه، بل ولا مع أقرانك إذا أرسل إليك رسولاً كريماً يدعوك بهذه الألسنة اللطيفة وواعدك بهذه المواعيد الجسيمة الخطيرة، بل ولا مع عبيدك وخدّامك، بل ولا مع أعدائك فإن الإنسان يستحي أن يرد دعوة أعدائه إلى مجلس الأُنس والتوادّ لا سيما إذ أرسل إليه رسولاً عزيزاً شريفاً كريماً يلاطف في دعوته التعبيرات، والتكريمات.. فسبحانه ما أكرمه وأحلمه وألطَفه؟!

ولعمري أن حق الإنسان أن يبذل تمام الدنيا والآخرة ويفديهما بصنوف نعمهما، وشرفهما، ولذاتهما، وبهجتهما كلها، لقدوم هذا الداعي.

بل ويبذل روحه وتمام العالمين بحرف من حروف كلمات هذه الدعوة، ولا يرى لما فعله خطراً، بل يكون عليه خجل

القاصرين في اداء حقّ شكره.. كيف لا، وهذه كلها محدودة حقيرة في جنب علوّ هذا التشريف.

ومع ذلك فهي أيضاً نعمة من نعمه ومنّة من مننه عليك كما إنّ بَذْلَكَ وفدائك أيضاً من نعمه.. فيا سبحان هذا الربّ الذي تحيّرت العقول في كرمه، ومعاملته مع عبيده؟!!

فإنّه جلّ آلاؤه لم يقنع في منّته بهذه الألطاف على هذا العبد المسكين حتى وعد على قبوله لهذا التكرّم من الثواب، والخلع، والعطايا ما يعجز عن وصفه ألْسُن البلغاء، بل واستعجمت عن فهمه ومعرفته أفهام العلماء. بل ولا خطر على قلب بشر.

وقال عزّ من قائل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[1].

فما أجهلنا بمعرفة كنه المقام المحمود وتصويره؟!

فتدبّر يا أخي فيما أسلفت لك أن الإنسان إذا لاحظ الأشياء بالعقل، فالعقل لا يرضى أن يساوي بين الحقير والخطير، بل ولا يساوي بين فردين من حقيقة واحدة لو وجد بينهما فرق يسير من جهة من الجهات. فكيف يمكن التسوية في حكمه بين شرف تكريم الله جلّ جلاله لعبده، مع سائر الشرف، ولذّة مناجاته وقربه، والنظر

(١) الاسراء: ٧٩.

إلى نوره ووجه مع سائر اللذات.. إذا كلّ ما يتعلّق به من الشـرف والكرامة والسعادة لا منتهى لها، ولا أمد، ولا عدد، ولا حدّ. واما غيرها فكلّها مقصورة محدودة بحدودها، ولا نسبة بـين المـحدود وغير المحدود أبداً.

وبالجملة: يجب على السالك أن يختبر حاله إن كان في نفسه تأثّر من عوالم الإنسانية، ومخالفة الصفات الكريمة فيتلو عليها من قبح مقابلة هذه التكريمات بفضائح تلك المناقضات والمخالفات.

ويتصوّر في فضاحته الجفاء في قِبال هذه المعاملات الكريمة من مثل هذا المنعم عظيم الشأن، فإنّ الجـفاء يـتفاوت قـبحه مـع الأشخاص، فإن الجفاء على المنعم يشتدّ عند العقلاء منه على غير المنعم.

وكلّما زاد الإنعام يزيد في الاشتداد، وهكذا يشـتدّ إذا كـان المنعم عظيماً. ويزيد اشتداده بزيادة العظمة.

مثلاً إذا أهدى إلى الإنسان حاكمُ البلد فاكهة، فحينئذٍ يـقبّح عند العقل إن يقابله الإنسان بعدم الاعتناء، ويزيد القبح إذا أدام هذا في كلّ يوم، ويزيد إذا زاده في الهدية بغير الفكـاهة أيـضاً إلى أن يهدي إليه على الدوام جميع ما يحتاج إليه في معيشته، بل جميع ما منه وجوده، وبقائه، ولوازمه وفواضله، وجميع هذه الهدايا بكل ما

يتعلّق به، ومن يتعلّق به من جميع الوجوه حتى يصير بحيث لا يقدر هو باحصاء كلّيات نعمه وهداياه، فضلاً عن احصاء جزئياته. بـل يكون جميع ما في داخل بدنه، وقـواه، وخـياله، ونـفسه وقـلبه، وروحه، وعقله، بل وجميع ما في عالم الإمكان من المـوجودات كلها ـ من جهة إرتباط الموجودات بعضها ببعض ـ نعمة عليه..؟

فلا محالة إذا بلغت النعم هذا المبلغ فحينئذٍ يبلغ قبح الجفاء، وسوء المعاملة في قبالها حدّاً يتعدّى حدّ الحصر.

وإذا فرض هذه كلّها مع سلطان المملكة بعظم القبح عند العقل بقدر عظمة درجة السلطان على الحاكم.

وكلّما فرض زيادة في عظمة سلطان هذا المـنعم لابـدّ مـن الحكم بزيادة القبح إلى أن يبلغ الأمر في العظمة بما تعجز الألسـن عن وصفها، ويُحار العقل والعقلاء في تصوير كنهها، فعند ذلك يكون القبح أيضاً غير محدود من جهتين.

هذا كلّه إذا لوحظ أيسر مراتب الجفاء، فكلّما زيد في الجفاء يزيد في القبح إلى أن يبلغ الجـفاء إلى حـدّ لا يـجوزه العـقل مـع الأعداء. فإنّ اصحاب النفوس الكريمة لا يجوزون إظهار العـداوة حضوراً ولو على الاعداء لا سيّما اذا لم يكن العدو مظهراً للعداوة بل كان مظهراً للودّ، الى ان يصير الاظهار الى درجة إظهار الشوق، بل

إظهار المحبّة في اعلى مراتبها.

فان كنت في ريب من ذلك فانظر الى ما ورد في قوله:

«لو علم المُدْبِرون عني كيف اشتياقي لهم وانظاري الى توبتهم لماتوا شوقاً إليّ ولقُطِعَتْ أوصالهم».

والى ما روي في فرحه تعالى الى توبة العبد وقوله في الحديث القدسي:

«يا بن آدم وحقك عليّ إنّي احبُّك فبحقك عليّ أحبني».

وقوله الى نبيّه وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام:

«يا عيسى! كم اطيل النظر، وأحسن الطلب والقوم لا يرجعون؟!»(١).

فوا أساه! وجلالة لو كنّا بشراً أصحاب حياء، بل لو وجدّ فينا مثقال ذرة من الحياء والعقل لمقتنا أنفسنا مقتاً لا يتصور فوقه مقت، ولرضينا ان يعذبنا ربّنا بالعذاب الأليم أبد الآبدين، ودهر بل وسألناه ذلك تمام عمرنا.. مقتاً لأنفسنا كيف عصته حضوراً. بعد هذه المعاملات اللطيفة، وجليل هذه التكريمات الجميلة.

(١) الكافي ٨: ١٣٤، ح ١٠٣.

ومن أجل معرفة هذه العوالم ترى الأئمة صلوات الله عليهم يقولون في مناجاتهم:

«الهي لو كان لي جلد على انتقامك وعذابك لما سألتك العفو عني وسألتك الصبر عليه، مقتاً على نفسي كيف عصيتك»(١).

ومن هذا الباب قول السجاد عليه السلام:

«الهي لو بكيت عليك حتى تسقط اشفار عيني. وانتحبت لك حتى ينقطع صوتي، وقمت لك حتى تنشر قدماي، وركعت لك حتى ينخلع صلبي. وسجدت لك حتى تتفقأ حدقتاي وأكلت تراب الأرض طول عمري. وشرب ماء الرماد آخر دهري. وذكرتك في خلال ذلك حتى يكلّ لساني، وثمّ لم ارفع طرفي الى آفاق السماء استحياء منك ما استوجبت بذلك محو سيئة من سيئاتي»(٢).

ومن أجل ذلك قال الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة:

«لو لم يكن في الحساب مهوله إلّا حياء العرض على

(١) بحار الأنوار ١٠٢: ٢٠٣.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٣٢.

الله تعالى، وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحق للمرء اذن لا يهبط من رؤوس الجبال، ولا يأوي الى عمران، ولا يأكل، ولا يشرب ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف».

وهذا المقدار من التفكر لمثل هذا السالك، المتأثرة نفسه من جهة المحبة والشوق، كاف بكمال الجد والاجتهاد.

وان كان تأثر نفسه من جهة المحبة والشوق اكثر، فعليه بالتفكر فيما مضى من الأخبار الواردة في اظهار لطفه تعالى على المتهجدين، وإراءة وجهه، والقاء نوره على بصائر قلوبهم، ودعوته إيّاهم الى مجلس أنه محفل قربه.

وَلِمَ لَمْ يكن في هذا الباب إلا تعبيره جلّ جلاله في كتابه العزيز بقوله: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾[1].

كان في التعبير عن ذكر قيامهم بما يدلّ على ذكر ترك لذتهم في ذاته، والتعبير بلفظ ﴿رَبَّهُمْ﴾ كفاية للعارفين المدّعين لحبّه.

وهكذا في قول الله تعالى لداود عليه السلام:

(١) السجدة: ١٦.

«وبعيني ما يتحملون من اجلي. وبسمعي ما يشتكون من حبّي»[1]. فوق الكفاية.

وهكذا قوله لكليمه:

«كذب من زعم انه يحبني، وإذا جنّه الليل نام عنّي».

وإن كان تأثر نفسه من خوف النار، والرغبة في الجنّة، فلينظر الى ما ورد في ثواب صلاة الليل والبكاء من خشيه الله.

روى الديلمي في الإرشاد.. عن النبي صلى الله عليه وآله انّه:

«ما من مؤمن يخرج من عينه مثل ريش الذباب من الدموع فيصيب وجهه، إلّا حرّمه الله على النار»[2].

وقال صلى الله عليه وآله:

«لا ترى النار عين بكت من خشية الله»[3].

وقال صلى الله عليه وآله:

«ما من قطرة أحب الى الله من قطرة دمع خرجت من خشية الله. ومن قطرة دم سفكت في سبيل الله. وما من

(١) مسكن الفؤاد: ١٩.
(٢) ارشاد القلوب ١: ٩٧.
(٣) ارشاد القلوب ١: ٩٧.

عبد بكى من خشية الله إلّا سقاه الله من رحيق رحمته، وأبدله الله ضحكاً وسروراً في الجنة، ورحم الله من حوله ولو كانوا عشرين ألفاً، وما أغرورقت عين في خشية الله إلا حرم الله جسده على النار، وان اصاب وجهه لم يرهقه قتر، ولا ذلة. ولو بكى عبد من أُمّة لنجيّ الله تلك الأمة ببكائه»[1].

وقال عليه السلام:

«من بكى من ذنب غفر الله له. ومن بكى من خوف النار أعاذه الله منها. ومن بكى شوقاً الى الجنة أسكنه الله فيها، وكتب له أماناً من الفزع الأكبر ومن بكى من خشية الله حشره الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحَسُن اولئك رفيقاً»[2].

وقال عليه السلام:

«البكاء من خشية الله مفتاح الرحمة، وعلامة القبول، وباب الاجابة»[3].

(١) ارشاد القلوب ١: ٩٧.
(٢) ارشاد القلوب ١: ٩٧ ـ ٩٨.
(٣) ارشاد القلوب ١: ٩٨.

وقال عليه السلام:

«اذا بكى العبد من خشية الله تحاتت عنه الذنوب كما يتحات الورق، فيبقى كيوم ولدته أُمّه»[1].

وقال الصادق عليه السلام:

«إذا اقشعرّ جلدك، ودمعت عيناك، ووجل قلبك فدونك دونك، فقد قصد قصدك»[2].

روى في عدة الداعي عن النبي صلى الله عليه وآله:

«إذا احبّ الله عبداً نصب في قلبه نائحة من الحزن، فانّ الله تعالى يحبّ كلّ قلب حزين»[3].

«وإنّه لا يدخل النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن الى الضرع»[4].

وروى في وصاياه جلّ جلاله لعيسى عليه السلام:

«يا عيسى هب لي من عينك الدموع. ومن قلبك الخشية، وقم على قبور الأموات فنادهم بالصوت

(١) ارشاد القلوب ١: ٩٨.
(٢) الخصال: ٨١ ـ ٨٢.، باب الثلاثة، ح ٦.
(٣) عدة الداعي: ١٥٥، باب ٤.
(٤) عدة الداعي: ١٥٥، باب ٤.

الرفيع، فلعلك تأخذ موعظتك منهم، فقل: إنّي لاحق في اللاحقين.

يا عيسى! صب لي من عينك الدموع واخشع لي بقلبك.

يا عيسى! استغث بي في حالات الشدة فإني اغيث المكروبين، واجيب المضطرين وأنا ارحم الراحمين».

وكان فيما أوحى الى الكليم:

«وامِتْ قلبك بالخشية، وكن خليقَ الثياب جديد القلب، تخفى على أهل الأرض، وتعرف في أهل السماء جليس البيوت، مصباح الليل.

واقنت بين يدي قنوت الصابرين، وصح إليّ من كثرة الذنوب صياح الهارب من عدوه، واستعن بي على ذلك، فإنّي نِعمَ العون. ونِعْمَ المستعان»[١].

وروي:

«انّ بين الجنة والنار عقبة لا يجوزها إلّا البكّاؤون من خشية الله تعالى»[٢].

---

(١) عدة الداعي: ١٥٦، باب ٤.
(٢) عدة الداعي: ١٥٦، باب ٤.

وروي عن النبي ﷺ:

«ان ربي تبارك وتعالى أخبرني فقال: وعزتي وجلالي ما أدرك العابدون مما ادرك البكاؤون عندي شيئاً. وإني لأبني لهم في الرفيق الاعلى قصراً لا يشارك فيه غيرهم»[١].

وكان مما أوحى الله الى موسى:

«وابك على نفسك ما دمت في الدنيا، وتخوف العطب، والمهالك، ولا تغرنّك زينة الدنيا وزهرتها»[٢].

والى عيسى على نبيّنا وآله وعليه السلام:

«يا عيسى ابن البِكر البتول! إبك على نفسك بكاء مَن قد ودّعَ الأهل، وقلى الدنيا وتركها لأهلها، وصارت رغبته فيما عند الله»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام:

«لمّا كلّم الله موسى عليه السلام، قال: يا إلهي ما جزاء مَنْ دمعت عيناه مِن خشيتك؟

---

(١) عدة الداعي: ١٥٦، باب ٤.
(٢) تحف العقول: ٣٦٨.
(٣) أمالي الصدوق: ٤١٧، المجلس ٧٨، ح ١.

قال: يا موسى أقي وجهه من حر النار، وآمنه يوم الفزع الأكبر»(١).

وقال الصادق عليه السلام:

«كلّ عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين: عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله»(٢).

وعنه عليه السلام:

«ما منْ شيء إلا وله كيلٌ، أو وزن إلا الدموع. فان القطرة منها تطفيء بحاراً من النار. فإذا أغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر، ولا ذلة، واذا فاضت حرّمة الله على النار، ولو إن باكياً بكى في امه لرحموا»(٣).

وعنه عليه السلام:

«ما منْ عين إلا وهي باكية يوم القيامة إلا عين بكت من خوف الله وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرّم الله سائر جسده على النار، ولو فاضت على خدّه

---

(١) أمالي الصدوق: ١٧٣، المجلس ٣٧، ح ٨.

(٢) كتاب الزهد، للحسين بن سعيد الاهوازي الكوفي.

(٣) ثواب الاعمال: ٢٠٠.

فما رهق ذلك الوجه قتر، ولا ذلة.

وما من شيء إلا وله كيلٌ، أو وزن إلا الدمعة، فان الله يطفيء باليسير منها البحار من النار، ولو إن عبداً بكى في امّة رحم الله تلك الأمة ببكاء ذلك العبد»(١).

وروي عن معاوية بن عمّار، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«كان في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام انه قال: يا علي اوصيك في نفسك بخصال، فاحفظها».

ثم قال صلى الله عليه وآله: *«اللهم اعِنه»*. ـ وعدّ خصالاً ـ والرابعة:

«كَثرة البكاء من خشية الله عزّ وجلّ، يُبنى لك بكل دمعة ألف بيت في الجنة»(٢).

وروى أبو حمزة عن أبي جعفر عليه السلام:

«ما مِنْ قطرة احبُّ الى الله من قطرة دموع في سواد الليل مخافةً من الله لا يراد بها غيره»(٣).

وروي عن أبي عمير، عن رجل من أصحابه، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام:

---

(١) أمالي المفيد: ١٤٣، المجلس ١٨.

(٢) عدة الداعي: ١٥٨، باب ٤.

(٣) الخصال: ٥٠، باب الاثنين، ح ٦٠.

«أوحى الله عزّ وجلّ الى موسى على نبينا وآله وعليه الصلاة والسلام: إنّ عبادي لم يتقربوا اليّ بشيء أحب إليّ عن ثلاث خصال.

قال موسى عليه السلام: يا رب وما هنّ؟

قال: يا موسى! الزهد في الدنيا، والورع عن المعاصي: والبكاء من خشيتي.

قال موسى: يا رب فما لمن صنع ذا؟

فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: يا موسى! اما الزاهدون في الدنيا ففي الجنة .. وأما البكاؤون من خشيتي ففي الرفيق الأعلى لا يشاركهم فيه أحد. واما الورعون عن المعاصي فاني افتش الناس ولا افتشهم»[١].

وفي خطبة الوداع لرسول الله صلى الله عليه وآله:

«ومَنْ ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة من دموعه مثل جبل أُحد يكون في ميزانه من الأجر، وكان له بكل قطرة عين فلي الجنة على حافتيها من المدائن والقصور مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[٢].

(١) مكارم الاخلاق ٢: ٩٥.

(٢) عدة الداعي: ١٥٩، باب ٤.

وعن أبي جعفر عليه السلام: إنّ ابراهيم النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إلهي ما لعبدٍ بَلّ وجهه من الدموع من مخافتك؟

قال تعالى: جزاؤه مغفرتي ورضواني يوم القيامة»[١].

وروى إسحاق بن عمّار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«أكون أدعو واشتهي البكاء، ولا يجيئني. وربّما ذكرت مَن مات مِنْ بعض أهلي فارق فابكي، فهل يجوز ذلك؟

قال عليه السلام: نعم، تذكرهم. فاذا رققت فابك لِربّك تبارك وتعالى»[٢].

وعن سعيد بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام:

«أتباكى في الدعاء، وليس لي بكاء؟

قال عليه السلام: نعم. ولو مثل رأس الذباب»[٣].

وعن أبي حمزة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لأبي بصير:

«ان خفت امراً يكون، أو حاجة تريدها فبدأ بالله فمجّده واثن عليه كما هو أهله. وصلّ على النبي صلى الله عليه وآله وتباك ولو مثل رأس الذباب، إن أبي كان يقول: أقرب ما

(١) عدة الداعي: ١٦٠، باب ٤.

(٢) عدة الداعي: ١٦٠، باب ٤.

(٣) عدة الداعي: ١٦٠، باب ٤.

يكون العبد من الربّ وهو ساجد يبكي»[١].

وعنه عليه السلام:

«اذا لم يجئك البكاء فتباك، فإن خرج منك مثل رأس الذباب فبخ بخ»[٢].

يا نفس اذكري البكائين فتعلمي منهم البكاء إن آدم صفي الله أبا البشر عليه السلام بكى حتى صار في خدّية أمثال الأودية.

وبكى يحيى نبي الله عصمه الله من الذنب من خوف الله حتى ذهب لحم خدّيه.

في البحار، عن الأمالي بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إنّ يحيى أتى بيت المقدس، فنظر الى المجتهدين من الأحبار والرهبان عليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف. وإذا هو قد خرقوا تراقيهم، وسلكوا فيها السلاسل وشدّوها الى سواري المسجد.

فلما نظر الى ذلك اتى امّه، فقال: يا أماه! انسجي لي مدرعة من الشعر، وبرنساً من الصوف حتى آتي بيت المقدس، فاعبد الله مع الاحبار والرهبان. فقالت له امّه: حتى يأتي نبي الله، واوآمره في ذلك.

(١) عدة الداعي: ١٦١، باب ٤.
(٢) عدة الداعي: ١٦١، باب ٤.

فلمّا دخل زكريا عليه السلام اخبرته بمقالة يحيى عليه السلام.

فقال له: يا بني ما يدعوك الى هذا، وإنما أنت صبي صغير؟

فقال له: يا أباه، أما رأيت مَنْ هو أصغر سنّاً مني قد ذاق الموت؟

قال: بلى.

ثم قال لامّه: انسجي له مدرعة من الشعر وبرنساً من صوف، ففعلت، فتدرع المدرعة على بدنه، ووضع البرنس على رأسه، ثم اتى بيت المقدس، فأقبل يعبد الله تعالى مع الاحبار حتى أكلت المدرعة لحمه، فنظر ذات يوم الى ما قد نحل من بدنه فبكى، فأوحى الله تعالى عزّ وجلّ إليه: يا يحيى اتبكي مما نحل من جسمك، وعزتي وجلالي لو اطلعت الى النار إطلاعة لتدرعت مدرعة الحديد، فضلاً عن المنسوج، فبكى حتى أكلت الدموع لحم خدّية، وبدا للناظرين أضراسه.

فبلغ ذلك امه. فدخلت عليه. وأقبل زكريا عليه السلام واجتمع الاحبار والرهبان فأخبروه بذهاب لحم خديه.

فقال: ما شعرت بذلك.

فقال زكريا عليه السلام: يا بنيّ ما يدعوك الى هذا، إنما سألت ربي إن يهبك لي فتقر عيني بك؟

قال: أنت امرتني بذلك يا أبه.

قال: ومتى ذلك يا بني؟

قال: ألست القائل ان بين الجنّة والنار لعقبة لا يجوزها إلّا البكاؤون مِنْ خشية الله؟

قال: بلى. فَجدّ واجتهد وشأنك غير شأني.

فقام يحيى فنفض مدرعته، فأخذته اُمّه فقالت: اتأذن لي أن أتخذ لك قطعتي لبود تواريان أضراسك، وتنشفان دموعك؟

فقال لها: شأنك.

فاتخذت له قطعتي لبود تواريان أضراسه وتنشفان دموعه، فبكى حتى ابتلتا من دموع عينيه. فحسر عن ذراعيه، ثم أخذهما يعصرهما فتحدر الدموع من بين أصابعه.

فنظر زكريا الى ابنه، والى دموع عينيه، فرفع رأسه الى السماء فقال: اللهم إن هذا ابني وهذه دموع عينيه وانت أرحم الراحمين.

وكان زكريا عليه السلام إذا أراد أن يعظ بني اسرائيل يلتفت

يميناً وشمالاً، فان رأى يحيى لم يذكر جنة ولا ناراً.

فجلس ذات يوم يعظ بني اسرائيل، وأقبل يحيى قد لفّ رأسه بعباءة، فجلس في غمار الناس. والتفت زكريا يميناً وشمالاً فلم ير يحيى، فأنشأ يقول: حدثني حبيبي جبرئيل عن الله تبارك وتعالى: ان في جهنم جبلاً يقال له السكران. في اصل ذلك الجبل وادٍ يقال له الغضبان لِغضب الرحمان تبارك وتعالى. وفي ذلك الوادي جبّ قامته مائة عام. في ذلك الجب توابيت من نار. في تلك التوابيت صناديق من نار. وثياب من نار وسلاسل من نار، واغلال من نار.

فرفع يحيى رأسه عليه السلام فقال: وا غفلتاه من السكران! ثم أقبل هائماً على وجهه.

فقام زكريا عليه السلام مِنْ مجلسه، فدخل على أم يحيى، فقال لها: يا أم يحيى قومي فاطلبي يحيى، فإنّي قد تخوفت ان لا نراه إلّا وقد ذاق الموت.

فقامت، فخرجت في طلبه حتى مرّت بفتيان مِنْ بني اسرائيل، فقاموا، فقالوا لها: يا أُمّ يحيى أين تريدين؟

فقالت: أريد أن أطلب ولدي يحيى، ذُكِرَتْ النارُ بين يديه، فهام على وجهه.

فمضت أم يحيى والفتية معها حتى مرّت براعي غنم. فقالت له: يا راعي هل رأيت شاباً مِنْ صفته كذا وكذا؟

فقال لها: لعلك تريدين يحيى بن زكريا؟

قالت: نعم ذلك ولدي ذُكرتْ النار بين يديه فهام على وجهه.

قال: إنّي تركته الساعة على عقبة ثنية كذا، وكذا، ناقعاً قدميه في الماء، رافعاً بصره الى السماء يقول: وعزتك وجلالك يا مولاي لا ذقت بارد الشراب حتى انظر الى منزلتي منك.

فاقبلت أمّه، فلما رأته دنت منه، فاخذت برأسه فوضعته بين ثدييها، تناشده بالله ان ينطلق معها الى المنزل، فانطلق معها حتى أتى المنزل.

فقالت له: هل لك ان تخلع مدرعة الشعر، وتلبس مدرعة الصوف فانّه ألين؟ ففعل. وطبخ له عدس، فأكل واستوفى فنام، فذهب به النوم فلم يقم لصلاته. فنودي في منامه: يا يحيى بن زكريا اردت داراً خيراً من داري، وجواراً خيراً من جواري..

فاستيقظ، فقام، وقال: يا ربّ اقلني عثرتي، إلهي

فوعزتك لا استظل بظلّ سوى بيت المقدس.

وقال لأمه: ناوليني مدرعة الشعر، فقد علمت إنكما ستورداني المهالك.

فتقدمت أمه، فدفعت اليه المدرعة، وتعلقت به.

فقال لها زكريا عليه السلام دعيه فان ولدي قد كشف له عنه قناع قلبه، ولن ينتفع بالعيش.

فقام يحيى عليه فلبس مدرعته، ولبس برنسه على رأسه، ثم أتى بيت المقدس فجعل يعبد الله عزّ وجلّ مع الاحبار حتى كان من أمره ما كان»[1].

ففكر يا أخي في هذه الأخبار، واختر لنفسك منها عدة ليوم فقرك وفاقتك بل لحال ابتلائك وبلائك. وان لم يساعد حالك للبكاء، فلا محاله من التباكي.

فان منعتك القساوة منه أيضاً فاعلم انه قد امرضتك الذنوب، وافسد قلبك أكدارُ العيوب، لا سيّما الاغترار بزينة هذه الدنيا الدنية وزخارفها وزهرتها. وألفت هذه العادات الردنية من التنعم بلذاتها، وحظوظها فانّ حبها كما ورد في الأخبار رأس كل خطيئة، ولم يدع في قلبك محلاً لذكر الله. وفكر بالآخرة.

---

(١) أمالي الصدوق: ٣٣ ـ ٣٥، المجلس ٨، ح ٣.

هذه نبذة مّما ورد في فضل البكاء.

أما ما ورد في فضل صلاة الليل، والتهجد فهي كثيرة. ظنّي أنّ مَنْ تفكر فيها وكان مؤمناً بها ولو بأقل درجات الايمان، وكان صحيح الجسم لا يمنعه لذة الرقاد عنها، ولا يرضى أن يحرم نفسه هذه الفضائل ويدنسها بما في تركها من الخسة والخيبة، والخسران، والرذائل، كيف يرضى العاقل ان تهبط درجته عن امامة الملائكة الأطهار، ويكون محلاًّ لبول الشياطن بنوم ساعة، بل ان يفوّت عن نفسه العزيزة شرف مناجاة الملك الجبار، وذلة أنْسه، وبهاء نوره، وكرامة مجالسته، براحة ساعات مِنْ ليله، ويكون جيفة بالليل، وبطالا بالنهار.

وبالجملة: قد وردت في أخبار آل النبي ﷺ في فضيلة التهجد، وصلاة الليل ما يبهر العقول، ويعسر الايمان به، والتصديق له من عظمة هذه الفضائل، وكثرة هذه الفواضل.

وإن شئت تصديق ذلك فراجع الى ما سمعت في حديث بعض الصديقين انّه تعالى قال في علامة احبّائه الذين يحبهم ويحبونه، ويشتاقون اليه، وينظر إليهم وينظرون اليه: «انهم يسجدون له في ظلم الليالي، ويناجونه، ويبكون ويشتكون منْ حبّه».

فان فيه كفاية لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد:

وروي في معاني الاخبار باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله اذا رأى اهل قرية قد أسرفوا في المعاصي، وفيها ثلاثة نفر من المؤمنين ناداهم جلّ جلاله وتقدست اسماؤه: يا اهل معصيتي لولا ما فيكم من المؤمنين المتحابين بجلالي العامرين بصلاتهم أرضي ومساجدي، المستغفرين بالاسحار خوفاً منّي لأنزلت بكم عذابي ثم لا أبالي»[١].

وروي، عن مجالس الصدوق باسناده عن ابن عباس، قال: قال رسول الله عليه السلام:

«مَنْ رُزق صلاة الليل من عبد أو أمة قام لله عزّ وجلّ مخلصاً، فتوضأ وضوءاً سابغاً، وصلّى لله عزّ وجلّ بنيّةٍ صادقةٍ، وقلبٍ سليمٍ وبدنٍ خاضعٍ، وعينٍ دامعةٍ.. جعل الله تبارك وتعالى خلفه تسعة صفوف من الملائكة. في كل صف ما لا يُحصي عددهم إلّا الله تعالى، احد طرفي كل صف بالمشرق والآخر بالمغرب. قال فإذا فرغ كتب له بعددهم درجات»[٢].

وروي عنه بإسناده عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام:

---

(١) علل الشرائع ٢: ٥٢٢، باب ٢٩٨، ح ٣.

(٢) أمالي الصدوق: ٦٤ ـ ٦٥، المجلس ١٦، ح ٢.

«إن العبد إذا تخلّى بسيده في جوف الليل المظلم وناجاه اثبت الله النور في قلبه.

فإذا قال: يا رب! يا رب! ناداه الجليل جلّ جلاله: لبيك عبدي، سلني أعطك. وتوكّل عليّ أكفك.

ثم يقول جلّ جلاله لملائكته: يا ملائكتي انظروا الى عبدي فقد تخلّى بي في جوف هذا الليل المظلم، والباطلون لاهون، والغافلون نيام، اشهدوا إني قد غفرت له..»[١].

وروي عن مجالس ابن الشيخ عن الصادق عليه السلام:

«إنّ من رَوْحِ الله تعالى ثلاثة: التهجد بالليل. وأفطار الصائم. ولقاء الاخوان»[٢].

وعن ثواب الأعمال، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

«صلاة الليل مصحّة للبدن، ومرضاة للربّ عزّ وجلّ، وتعرض للرحمة، وتمسك بأخلاق النبيين»[٣].

وعن العلل، عن جابر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«ما اتخذ الله إبراهيم خليلاً إلّا لاطعامه الطعام،

(١) أمالي الصدوق: ٢٣٠، المجلس ٤٧، ح ٩.
(٢) أمالي الطوسى ١: ١٧٦، المجلس ٦، ح ٤٣.
(٣) ثواب الاعمال: ٦٤، باب (ثواب من صلى صلاة الليل)، ح ٦.

وصلاته بالليل والناس نيام»[١].

وعن العلل، عن أبي عبد الله عليه السلام: في قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ قال:

«صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب النهار»[٢].

وعن ثواب الاعمال، عن أبي عبد الله عليه السلام:

«صلاة الليل تحسن الوجه، وتحسن الخلق، وتطيّب الريح، وتدرّ الرزق، وتقضي الدين، وتذهب بالهمّ، وتجلو البصر»[٣].

عن مجمع البيان عن النبي صلى الله عليه وآله قال:

«إذا أيقظ الرجل أهله وصلّيا من الليل كتبا من الذاكرين الله والذاكرات»[٤].

عن مشكاة الأنوار من كتاب المحاسن، عن الصادق عليه السلام:

«ان الله تبارك وتعالى اوحى الى نبي من انبياء بني اسرائيل: ان أحْبَبْت ان تلقاني في حضيرة القدس فكن

(١) علل الشرائع ١: ٣٥، باب ٣١، ح ٤.
(٢) علل الشرائع: ٣٦٣، باب ٨٤، ح ٧.
(٣) ثواب الاعمال: ٦٥، باب (ثواب صلاة الليل)، ح ٨.
(٤) مجمع البيان ٨: ٣٥٨، في تفسير الآية ٣٥ من سورة الاحزاب.

في الدنيا وحيداً غريباً مهموماً محزوناً متسوحشاً من الناس بمنزلة الطير الذي يطير في الأرض القفار، ويأكل من رؤوس الاشجار، ويشرب من ماء العيون. فإذا كان الليل أوكر وحده، واستأنس بربّه، واستوحش من الطيور»[1].

وعن الباقر عليه السلام:

«إن الله يحب ـ وذكر اشياءً وقال في آخرها: الساهر بالصلاة»[2].

وعن كتاب الغايات، عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«قلت له اخبرني جعلت فداك: ايّ ساعة يكون العبد أقرب الى الله، والله منه قريب؟

قال: إذا قام في آخر الليل، والعيون هادئة، فيمشي الى وضوئه حتى يتوضأ بأسبغ وضوء، ثمّ يجيء حتى يقوم في مسجده، فيوجه وجهه الى الله ويصف قدميه، ويرفع صوته، ويكبّر، وافتتح الصلاة، فقرأ اجزاءً، وصلّى ركعتين وقام ليعيد صلاته، ناداه منادٍ مِنْ عنان السماء عن يمين العرش: ايّها العبد المنادي ربّه ان البر

(١) بحار الأنوار ٨٧: ١٥٨، ح ٤٥.
(٢) مشكاة الانوار: ٢٥٧.

لينشر على رأسك من عنان السماء، والملائكة محيطة بك من لدن قدميك الى عنان السماء، والله ينادي: عبدي لو تعلم من تناجي إذن ما انفتلت»[1].

وقال عليه السلام:

«ابغض الخلق الى الله، جيفة بالليل، وبطال بالنهار»[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«خياركم اولى النهي؛ قيل: يا رسول الله من أولو النهي؟ فقال: المتهجدون بالليل والناس نيام»[3].

عن العيون، قال سئل علي بن الحسين عليهما السلام: ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟

قال عليه السلام:

«لأنهم خلوا بربّهم، فكساهم من نوره»[4].

وعن الصادق عليه السلام:

«صلاة الليل مرضاة للرب، وحبّ الملائكة، وسنة

(١) بحار الأنوار ٨٧: ١٥٨، ح ٤٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٨٢، باب ٢٨، ح ٢٨.

الانبياء، ونور المعرفة واصل الايمان، وراحة الابدان، وكراهية الشيطان، وسلاح على الاعداء، واجابة الدعاء، وقبول الاعمال، وبركة في الرزق وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج في قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب على منكر ونكير، ومؤنس، وزائر في قبره الى يوم القيامة. فاذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلاً فوقه، وتاجاً على رأسه، ولباساً على بدنه، ونوراً يسعى بين يديه، وستراً بينه وبين النار، وحجة للمؤمن بين يدي الله تعالى، وثقلاً في الميزان، وجوازاً على الصراط، ومفتاحاً للجنّة، لأن الصلاة تكبير، وتحميد، وتسبيح، وتمجيد، وتقديس، وتعظيم، وقراءة، ودعاء»[1].

وعن البلد الأمين، قال الصادق (عليه السلام):

«ليس من شيعتنا من لم يصل صلاة الليل»[2].

عن ثواب الأعمال والمجالس للصدوق: ان رجلاً سأل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن قيام الليل للقرآن. فقال (عليه السلام) له:

«ابشر مَنْ صلّى من الليل عُشر ليلة لله مخلصاً ابتغاء

(١) ارشاد القلوب ١: ١٩١.

(٢) المقنعة: ١١٩.

مرضاة الله، قال الله عزّ وجلّ لملائكته: اكتبوا لعبدي عدد ما انبت من النبات في الليل من حبة وورقة وشجرة وعدد كل قصبة وخوط ومرعى.

ومَنْ صلى تسع ليلة أعطاه الله عشر دعوات مستجابات، واعطاه كتابه بيمينه يوم القيامة.

ومنْ صلى ثمن ليلة اعطاة الله أجر شهيد صابر صادق النية وشفع لأهل بيته.

ومن صلّى سبع ليلة خرج من قبره يوم يبعث ووجه القمر ليلة البدر حتى يمرّ على الصراط مع الآمنين.

ومن صلّى سدس ليلة كُتب في الأوّابين وغفر له ما تقدم من ذنبه.

ومن صلّى خمس ليلة زاحم إبراهيم الخليل في قبته.

ومن صلّى ربع ليلة كان في اول الفائزين حتى يمرّ على الصراط كالريح العاصف ويدخل الجنة بغير حساب.

ومن صلّى ثلث ليلة لم يبق ملك إلّا غبطه بمنزلته من الله عزّ وجلّ، وقيل له: إدخل من أي ابواب الجنة الثمانية شئت.

ومن صلّى نصف ليلة فلو اعطى ملؤ الأرض ذهباً

سبعين ألف مرة لم يعدل جزاءه، وكان له ذلك أفضل من سبعين رقبة يعتقها من ولد اسماعيل.

ومن صلى ثلثي ليلة كان له من الحسنات قدر رمل عالج أدناها حسنة أثقل من جبل أحدٌ عشر مرات.

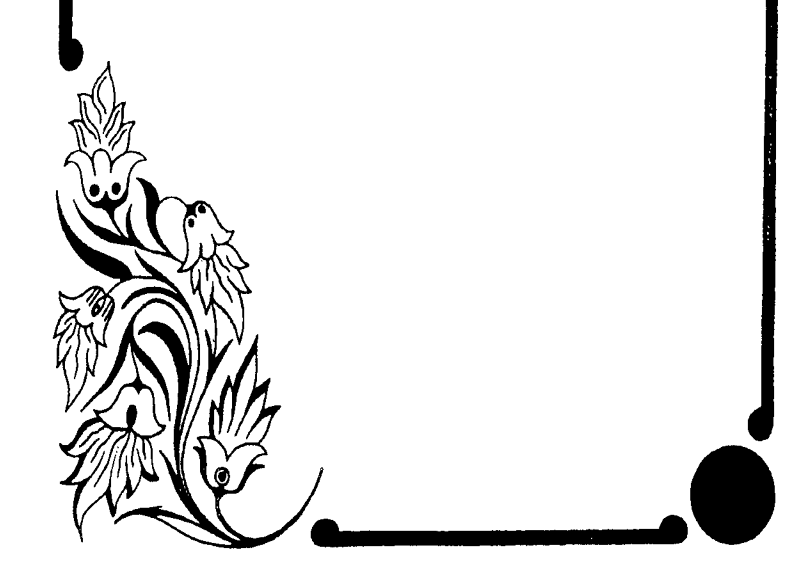
ومن صلى ليلة تامة تالياً لكتاب الله عزّ وجلّ راكعاً، وساجداً، وذاكراً، اعطي من الثواب ما أدناه يخرج من الذنوب كما ولدته امّه، ويكتب له عدد ما خلق الله من الحسنات. ومثلها درجات. ويثبت النور في قبره وينزع الأثم والحسد من قلبه، ويجار من عذاب القبر، ويُعطى براءة من النار، ويبعث من الآمنين. ويقول الربّ تبارك وتعالى لملائكته:

يا ملائكتي انظروا الى عبدي احيّا ليلة ابتغاء مرضاتي، اسكنوه الفردوس، وله فيها مائة الف مدينة في كل مدينة جميع ما تشتهي الانفس وَتَلَذُّ العين وما لا يخطر على بال سوى ما أعددت له من الكرامة والمزيد والقربة»[1].

(١) أمالي الصدوق: ١٤٠، المجلس ٤٨، ح ١٦.

زاد الطريق

وسوط السلوك



هذا وقت افتضحت يا نفسي بعد هذه المراتب حتى لو أتيت بعبادة الثقلين في قبال هذه الألطاف السنيّة، وكيف ذلك وانتِ جيفة بالليل، بطّالة بالنهار، وليتك لم تقم من نومتك، ولم تستيقظ من رقدتك، فلعلك تنتفع من خجْلةِ عدم القيام أكثر من قيامك وانت على هذا الحال، وبهذا القلب المنكوس، بل ولو شرحت حقيقة قيامك، بل أشرف حالات قيامك الذي هو صلاتك، والتفت بحقيقة عملك لاستغفرت من صلاتك أكثر من استغفارك من ذنوبك واستحييت منه جلّ جلاله حياءً عظيماً، وان شئت تصديق ذلك فاستمع لما أتلو عليك من أيسر تقصيرك في حق أدب الحضور بين يدي هذا السلطان العظيم الرحمن الرحيم، وهو غفلتك عن حضوره في صلاتك واشتغالك بقلبك الى غيره فانك اذا تأملت في ذلك، وما تتأدّب به في حضور شخص جليل من حاكم بلدك، وشريف من شرفاء قومك، وقايسته بأدبك في صلاتك في حضور ملك الملوك تعالى.. تعرف كثرة تقصيرك، وتهوينك لعظمة هذا السلطان العظيم (جلّ سلطانه)، لأنك لا ترضى من نفسك ان تحضر بمحضر حاكم بلدك، وتستدبره وهو مواجهك، وتتواضع لغيره وهو يخاطبك، بل وتسجد لعدوه في حضوره وهو يناجيك، بل ولا ترضى بذلك

التهوين مع قرينك، بل ولا أحدٌ من خُدّامك، فما أفضح عملك، وما أفضح حالك في معاملة هذا الملك العظيم الشفيق في صلاتك التي أكرمك باذنه لك في المعراج والمناجاة معه، بل منَّ عليك بعظيم منّه حيث دعاك لمخاطبته، ومجلس أُنسه، وهو يراقبك في جميع لحظاتك. ويحاسبك بلطفه في جميع ما تفعله أو تقوله من أقوالك، وافعالك. وينشر البرّ على رأسك من عنان السماء، ويأمر كرام ملائكته بان يحيطوا بك من قدمك الى افق السماء إجلالاً بك، وينظر بعين رأفته عليك، ويباهي بك ملائكته الكرام.

فأين كنت يا مسكين، يا جاهل؟!! بل يا قبيح الفعال، يا من لا حياء له، بل ولا ايمان له، ولا عقل له، بل ولا شعور، من هذا الخسران العظيم؟!!

ولو إنّ حيواناً من البهائم استشعر من مالكه عشر ما عقلت من مالكك الرأفة، والألفة، والحنين، استأنس به، وألفه، ويراقبه بالطبع عند حضوره.

وكثيراً ما رأيت من الحيوانات بل من الكلاب إنّه يراقب مالكه الذي يباشر اطعامه بمراقبات عجيبة، كيف ولو تأملت بعين الرقّة في معامله الكلب مع صاحبه ووفائه في معاملته لرأيته احيى وأوفى منك بكثير.

يا إنسان! يا عاقل

إنصف، كيف يصح لك ان ترضى في معاملتك مع هذا الإله الجليل، والمُنعم الجميل ـ الذي لا تقدر على احصاء نعمه عليك، بل ولا يقدر على ذلك أهل السماوات والأرضين، ولا تقدر ذرة من عظمة سلطانه عقولُ العقلاء، وفهوم العلماء ولا أوهام الحكماء ـ أدون من معاملة الكلب مع صاحبه؟!!

أما تعلم ان صاحب الكلب ربّما لا يطعمه إلّا بالعظم الخالي، ومع ذلك هو يحرسه طول ليله، ويحرس بيته وحشمه، ويتكالب مع كل من يحس دخوله في بيته صاحبه من الغرباء وكلما يريد غنمه وحشمه من الذئاب.

وربّما ينسى أن يطعمه هذا العظم الخالي وهو مع ذلك يتحمل الطوى من القوت، ولا يترك بابه، ولا يذهب عن بابه الى غير بابه.

فاسمع يا قليل الحياء! يا عديم الحياء! إنك تخون صاحبك الرفيق، ومنعمك الشفيق مع إنه يطعمك من الاغذية اللطيفة بهذا الاكرام والتشريف في بيوت عالية، وآنية غالية، بأقبح الخيانات، وتتواضع لعدوه، وتجد له في طاعتك عند أمره بمخالفة ربك في تخصيل الزيادات، مع إنك تعلم يقيناً إنه لو لم يحلم عنك، ولم يعطك القدرة، وسائر اسباب التحصيل لما أمكنتك ذلك.

فما أعظم هذا المصاب العظيم، والرزء الجليل، فإنّا لله وإنا اليه راجعون من حسره هذا الخطب الفظيع، والخسران العظيم.

كيف يكون حالنا لو خاطبنا ربّنا في هذه المعاملات، وقال: يا وقح! يا قبيح! أما أوجدتك؟!! اما خلقتك؟!! أما سويت خلقك؟!! اما باشرت بنفسي تدبير امرك بحيث ما رضيت لك نعمة دون نعمة، حتى عجز الواصفون عن صفتها، ولم يقدر المحصون إحصائها؟!!

عصيتني بعين نعمي عليك وانا شاهد عليك، وأمرتك بأمر هو صلاحك وامرك عدوّي وعدوّك بأمر فيه فسادك، وهلاكك، خالفتني، وأطعت عدوي وعدوك بحضوري، وجميع أسباب طاعتك لعدوي من نعمتي عليك.

دعوتك الى كرامتي، ومجلس أُنسي، وأنا منعمك، ورازقك تكريماً لك، ومنّاً منّي عليك.

أعْرَضْتَ عنّي!! ودعاك عدوي الى طاعته، ومجاورته في اسفل دركات الهاوية، فاجبته، وأطعته.

ولعل لمثل هذه الأحوال قال الصادق عليه السلام:

«*ولو لم يكن للحساب مهولة الاحياء العرض على الله تعالى، وفضيحة هتك الستر على المخفيات لحقّ للمرء ان لا يهبط من رؤوس الجبال*»[1].

هذا، وقد تختلج ببالي انّ استشعار هذا المقدار من سوء المعاملة، والتهوين، والمسامحة مع السكوت عن الاعتذار، إنّما يورث شناعة الواقع لاجل ان ترك الاعتذار ولو عن غير حق في بعض المقامات إنّما يعدّ توهيناً، ويصير قبيحاً من التقصير.

فلنتعرض الآن بذكر الاعذار من هذه الجنايات العظيمة، والقبائح الفظيعة، بعد الاعتراف والانكسار، وإظهار المذلّة، والاستحياء، والعرض على جناب قداسه الاعظم بحقيقة لسان الحال..﴿أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[2].

وأقبح الظالمين، وأرذل الظالمين، وأهون الظالمين، بحيث لو كان لنا جلد على انتقامك، أو طاقة على عذابك لما سألناك العفو عنّا، وسألناك بأليم عذابك وبئس عقابك أبد الآبدين ودهر الدهور عذاباً خالداً لا إنقطاع لأمده.. سخطاً على انفسنا كيف عصتك، وقابلت هذه الكرامات الجليلة من ألطافك السنيّة البهية بهذه الفظائع الشنيعة يا ربّنا من هؤلاء عبيد السوء ليس من باب هوان نعمك العظيمة عندهم أو تهوين سلطانك العظيم لديهم، ولا لأجل الجحود

---

(١) مصباح الشريعة: ٨٥، باب ٣٨، ح ١.

(٢) الانبياء: ٨٧.

والعناد ـ والعياذ بك منه ـ أو الالحاد، بل من خسّة انفسنا، وحقارة حالنا، ودنو ودنائة مقامنا، فمثلنا كمثل الجعل[١] يحيى من نتن القاذورات، ويموت من طيب المسك وهذا الحال الذي حكم فينا عدلك، واثبت فينا قضاؤك، ولك الحجة علينا فما حكمت به علينا من سوء هذا المقام، ورداءة هذه الأحوال، إلا ان يدركنا فضلك، وتغير حالنا كما تفضلت على أوليائك فعرفتهم بنفسك، والزمتهم محبتك، فعرفوك، وأحبّوك. واقدرتهم بما امتنعوا به من مكائد عدوهم، واحترزوا من مصائده، وتعلقوا بحبلك، وتمسّكوا بعروة وثقاك، وتوسلوا اليك بولاية اوليائك، فقبلتهم، وقربتهم، وأدبتهم بأدبك فتأدبوا.

فإنا قد بقينا في اسرنا، وذلّنا، وهواننا فان ذكرناك بما يلوح لنا من عظمتك، وكثرة نعمائك، وحق ادب حضورك في بعض حالاتنا، وتأثرت منه قلوبنا بشيء يسير يعترضه فوراً ما ترسخت في قلوبنا من ألْفِ هذه العادات الرديئة، وأنس هذه الملكات الخبيثة، ويعين هذه الخطرات في قلوبنا، ويزينها في نفوسنا عدوك وعدونا، فيضلنا عن طريق معرفتك، ويزيلنا عن سبيل محبتك، ولا ينجينا من هذه المهالك، ولا يخرجنا من تلك الظلمات إلا نور

(١) الخنفساء.

هدايتك، وطلوع شمس معرفتك حتى يمحو عنّا ظلمات عوالم السجين، وتجذبنا جذبات محبتك الى اعلى عليين.

فوعزتك، ولو تركتنا وانفسنا وخلّيت بيننا وبين عدونا لهلكنا وأهلكنا ولعصيناك بكبائر ذنوبنا، وقابلناك من هذه التكريمات بفضائح اعمالنا.

فأنا عُبَيْدك هذا الجاني. أناديك من مهوى عالم الطبيعة، وذل أسر قيود اخلاق الرذيلة، وأقول: وعزتك، وجلالك، وعظيم سلطانك لأعصينك وأهلك نفسي، وأهوي في دركات عوالم سجّين وألحق بحزب الشياطين إلّا ان تعصمني. فان نفسي نشأت في هذه الدنيا الدنيّة، ولا عقل لي، والفَتْ بزخارفها واعتادت بشهواتها، ولا يعرف جميلاً من قبيح، واعانني على ذلك كبرائي ورفقائي، وكلّ من رأيتهم وعرفتهم من بني نوعي، حتى ترسخت في نفسي هذه الملكات الخبيثة، وألِفَت بهذه الرعونات، وعوالم الطبيعة، ثم وهبتني العقل والعلم بعد تمكن آثار الجهل، والملكات الخبيثة المكتسبة في مدة مديدة.

وحجبت عني وجهك وعوالم الغيب ولم يقويا ـ لضعفهما ـ على غلبة نفسي وشيطاني، والتزكية من الصفات الرذيلة حتى بقيت في مهوى عالم الطبيعة أسيراً للنفس والشيطان فأهلكا نفسي وروحي بالذنب والعصيان. وكيف بالذكر والأدب لمن لا يعرف

المذكور والحضور بل ولا يعرف الظلمات من النـور.. والمشـتكى اليك، واللجوء الى باب فضلك وكرمك، من فضيحة هذه الاحوال، ورداءة هذه المقامات، بل كيف النجاة، وأين النجاة من المقيد في سجن عالم الطبيعة، والمكبل الأسير في بـاطل دار الغـرور، ان لم تقذف في قلبه النور، وجذبته الى دار الخلود، والسرور، والحبور.

اللهم يا إلهنا، وخالقنا ومنعمنا ظلمنا انفسنا واعترفنا بذنوبنا، ونقول قبل يوم القيامة: هل ﴿إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ طمعاً فـي فضلك العظيم ومنّك القديم ان لا تبتلينا بقول ذلك يوم القيامة، وان لا تجمع لنا ذل الدارين، فبك الى اوليائك في الشفاعة، وبهم اليك في القبول توسلنا، فارحـمنا، ومـنّ عـلينا بـمعرفتك، ومـحبتك، واخرجنا من الظلمات الى النور، فان عرّفنا نفسك احـببناك، وان احببناك أحْرَقت محبتك كل باطل وجهل وغرور، بل وكل حجاب بيننا وبينك، وكنا كما تحب ان يكون عليه أحـباؤك فـإنا عـبيدك المضطرون الى نيلك، بل جيرانك وضـيوفك، وانت الكـريم الذي أدّبت عبادك، وكرهت للمضيف منهم ان يمنع ضيفه القرى ولو كان كافراً، وان كان الضيف ممن لا يهلكه المنع، والمضيّف ممن ينقصه الاحسان، وانت تعلم إنك متى ما منعتنا قراك بتنا طاوين في حماك، ووصلنا الى الهلاك، يا من لا ينقصه الاحسان، ولا يزيده الحرمان، فارحمنا وقد كان الذي كان.

هذا وأنت ـ يا أخي وقرة عيني ـ إن تأملت فيما رسمت لك في التهجد بالصلاة والبكاء وما بعثتك هـذه الجـملة عـلى القـيام، ورضيت بنفي التشيع عن نفسك وان لا تكون منهم عليهم السلام حيث قـال العسكري عليه السلام: «*ليس منّا من استخفّ بصلاة الليل*»، واخترت راحة النفس وطيب الرقاد على الخلود مع الله جلّ جلاله الحبيب القريب، والمناجاة معه، والمجالسة معه والأنس معه وعلى كراماته السـنية البهية، ولم يتغير من مطالعة هذه الاوراق حالك.. فـاعلم انك فـي احد الخطرين:

إما فقدان الايمان بهذه الآيات والاخبار.

وإما مرض قلبك من حب الدنيا، واوساخ الذنـوب، وظـلم المعاصي، وأكدار الشهوات بحيث فسد جوهره كما تفسد الاوساخ القذره إذا تراكمت جواهر المرائي ولم يبق فيك خير ينجيك.

وأياك، ان تغفل عن مثل هذا المـرض المـهلك، ولا تـعالج نفسك حتى يختم عليك بالشقاوة العظمى، وخسران الدارين.

وأياك، اياك ان تسوّف بالعلاج، والتوبة وقـد ورد ان اكـثر صياح اهل النار من التسويف.

وان كنت عاملاً به، وساعياً، ومراقـباً ومُـجدّاً فـي تكـميله وتصحيحه فعليك بالسعي في الستر، والاخفاء والاخلاص وتلطيف

المراقبة والمناجاة، والايثار بالمناجاة المؤثرة، وبعض المضامين اللطيفة المهيجة المثيرة للاحزان، والبكاء، وحرقة القلب المشتملة على الادب اللطيف.. وهكذا من الاحوال، والهيئات، والحركات.. من التمرغ في التراب، والرماد ولبس المسوح، وكشف الرؤوس، وحثي التراب.. والى الجلوس على الرماد، وغلّ الايدي الى الاعناق والسجود ثلاث على الهيئات المختلفة من وضع الجبهة على الأرض، ومسّ الخدين، والخرور على الاذقان والمشي على هيئة الهيمان، ووضع الرأس على الجدران، وتقريب النار من البدن وخطاب النفس ببعض خطابات الجليل او الملائكة من قول ﴿اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[1] وقول مالك ﴿إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[2]. أبداً وقول الفتان ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾[3]. وقول الله ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[4].

بل المكالمة مع كل واحد، واحد من الاعضاء ـ والندبة عليها، كقولك: يا عيني التي كنت في الدنيا احرسك من الغبار القليل، كيف يكون حالك في جهنم ونارها اذا ملئت منها؟!

(١) المؤمنون: ١٠٨.
(٢) الزخرف: ٧٧.
(٣) المؤمنون: ١٠٠.
(٤) الحاقة: ٣٠ ـ ٣١.

اما كنت في الدنيا موحشة من التوتيا ومتألمة من الكحل فكيف يكون حالك اليوم اذا اكتحلت بمرود النار وضربوا عليك المسمار.

وتقول لرأسك: يا رأسي الذي كنت في الدنيا احميك من الاتكاء على القطن والصوف إلّا ان يكون متكاك من زغب الطيور، وعودتك بزغب (القو) كيف حالك إذا ضربوك بمقامع من الحديد المحماة من نار جهنم بأيدي ملائكة غلاظ شداد. هكذا.

فان كان تأثرك من عوالم الشوق والمحبة ازيد من مراتب الخوف والشدة، فخاطب نفسك، وقل لها يا نفسي العزيزة! قد كنت في الدنيا ـ وهي دار الهوام ـ متعززاً، متجملاً، مستريحاً، ناعماً، اعانق النسوان، واصاحب الشرفاء، واحكم في الناس، واستلذ بالملذذ، ولم يرض لي ربي بذلك حتى ندبني ربي الى كرامة يوم القيامة، والسلطنة العظمى، والخلافة الكبرى.. بل لزيادة نوره، وجماله.. والى كريم قربه وجاره، فبدلت (أنا) بسوء اختياري الاقتران مع الشياطين من مرافقة الأولياء والصديقين، واخترت مهوى عالم سجّين من اعلى عليين وجوار حضرة ربّ العالمين.

وا حسرتاه على ما فرطت في جنب وان كنت لمن الخاسرين ومن الهالكين!!

فيا بعداً لهذه الشهوات الدنية الخسيسة كيف منعتني عن هذه الملاذ العظيمة الجليلة الخطيرة..!!

فيا بؤسنا لهذه السرافة العليلة الكليلة التي منعتني عن هذه الكرامات البهية العلية؟!!

وا اسفاه؟ والهفاه هل من معين، فيعينني على البكاء والعويل والندبة على فوات هذا التشريف والتجليل، وينوح معي الى أبد الآبدين بتفويت هذه النعم الجميلة. وتضييع هذه المواقف الكريمة الجليلة.

يا أخواني من أهل المعصية والخسران! اجتمعوا مع اخيكم على إقامة المآتم.

ويا شركائي من أهل الكبائر والعصيان نوحوا مع شريككم على هذه المآتم.

ويا اعواني على هتك استار العبودية، وتضييع مكارم الربوبية، وبيع النعم الحقيقية الباقية الخالدة بالشهوات القليلة الكاسدة الفانيه الفاسدة. نوحوا مع رفيقكم على ما ضيعتم من الكرامة والرضوان، ونعيم الجنان، والحور والغلمان كأنّهم الجمّان، واللؤلؤ والمرجان، والبرّ والاحسان، والكرم والامتنان من اللطيف المنّان. كم بدلتم من عوالم النور والسرور والحبور بظلمات فوق

ظلمات المخازي والنكبات؟!!

وبالجملة: تكون همته تحصيل حال الرقة، ولطف المراقبة.

وإذا علم المقصود، وكان مجدّاً في تحصيله قد ينفتح له من وجوه حيل الوصول إليه، مطالب لم يلتفت إليها غيره كما هو الشأن في امور الدنيا، فإنّ النفس لا تحتاج في تحصيل وجوه الحيل للوصول إليه من معلّم، وإنما المعلم هو المعلم الخبير.[1]

---

(١) يقول العارف الملكي في كتاب المراقبات (٢٤٢ ـ ٢٤٥):

«من العوامل المؤثّرة في تهييج الرقّة وإثارة الخشية والبكاء: أن يغلّ يده الى عنقه، وأن يلبس المسوح، وأن يثير التراب على رأسه، وأن يخرّ على التراب، وأن يمسح وجهه على التراب، وأن يضع رأسه على الجدران، وأن يمشي ويقف، ويصيح ويسكت، ويتمرّغ في التراب، ويفرض نفسه في المحشر، ثم يعاتب نفسه بما ورد من عتاب أهل الجرائم.

ثم ينظر نظرة عن يمينه، ويتفكّر في أصحاب اليمين وصورهم ولباسهم وزيّهم، ثم ينظر عن شماله ويقدّر نفسه مع أصحاب الشمال ويتصوّر أحوالهم المنكره من سواد الوجه وزرق العين وغلّ الأيدي والاقتران مع الشياطين ولبس القطران ومقطّعات النيران، والزبانية كلّهم حاضرون، والى أمر ربّهم ناظرون، ثم حذر من صدور الخطاب بقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾.

ثم ينادي: يا أرحم الراحمين، يا غياث المستغيثين، أين رحمتك الواسعة، أين عطاياك الفاضلة، أين فضلك العظيم، أين منّك الجسيم، أين كرمك يا كريم.

على بوّابة التحول

فإذا عمل المريد بهذا الدستور، وداوم بما يناسبه من الاذكار في بقية أوقاته، وجعل في يومه وليلته وقتاً معيناً (للفكر). ويكون فكره في أول الأمر في (الموت). وليكن عن حاق القلب، لا عن ظاهر القلب بحيث يقل أثره، فان ذكر الموت دواء مؤثر لإحراق حبّ الدنيا، وإصلاح اغلب الاخلاق الرذيلة، وقد ورد في فضله والحث عليه اخبارٌ كثيرة.

---

(١) ثم يبكي ويذكر عظم حلمه وكرمه، وقديم فضله وإحسانه، وعميم عفوه وغفرانه.

فإن أتاه الخبيث وأراد أن يقنّطه من رحمة ربّه وقال: أنت مع هذه الذنوب والعيوب لست أهلاً لرحمة الله والنظر الى لطفه، فانّه قال: ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ وأنت لست من المتقين، فلا يقبل قوله، ويعرض عن جوابه، ويناجي ربّه في جوابه، ويزيد في إظهار الرجاء ويقول: حاشا لوجهك الكريم أن يعرض عن مثلي من المحتاجين الى عفوه وكرمه، والمتوسّلين إليه بأوليائه، وأن لا يرحم عيني الباكية وقلبي الخاشع وبدني الذليل الخاضع.

ثم يقوّي رجاءه ويبسط آماله، ويستدعي كلّما يتصوّر ويتعقّل من المقامات العالية من المعرفة والمحبّة والقرب والزلفى، والعمل والتقوى، ويكثر من قول: يا من يفعل ما يشاء ولا يفعل ما يشاء غيره، يا من لا يعظم عليه شيء من العطايا العظيمة والكرامات الجليلة الجميلة، يا من لا ينقصه الإحسان ولا يزيده الحرمان. ***(المترجم)***.

روي إنه سئل رسول الله ﷺ: هل يبلغ احدٌ درجة شهداء بدر؟

فقال ﷺ: «*ألا من يذكر الموت في كل يوم عشرين مرة*».

ولا بأس بالاشارة اجمالاً الى كيفيته وهو أنْ يتفكر في امور منه:

١ ـ أولها في إمكان تعجيله. ويكفي فيه للعاقل السير في أحوال الذين يموتون فجأة، وانهم أيضاً قبل الموت كانوا لا يحتملون أن يموتوا الى سنين. فإذا جاء الأجل فَتَتْ المُهَلُ. وكم من حي قوي نشيط لا يحتمل الموت، ويتخيل لنفسه عمراً طويلاً ويبني في اموره بناء من يعيش مائة سنة، مات فجأة من ساعته، فاذا كان ممكناً، وواقعاً فما الذي آمننا منه؟!!

٢ ـ وثانيها أن يتفكر في شدتها، وسكرتها، ووحشتها، ويكفي منه ان يتفكر في ما يصل اليه من آلام الأوجاع في أعضاء بدنه فان في ملاحظة هذه الاوجاع كفاية لمن أراد أن يتعقل ألم الموت الذي قيل هو لبعض الاشخاص نظير سفود جعل في صوت رطب ثم جذب.

وقيل: كغصن كثير الشوك أدخل في جوف، واجتذب كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب، فأخذ من أخذ، وبقي ما بقي.

وقيل: إنه أشدّ من نشر المناشير، وقرض بالمقاريض.

قيل: والعجب انّ الانسان لوكان في اعظم اللذات، وأطيب اللهو، وكان ينتظر أن يدخل عليه جندي فيضربه خمس خشبات لتكدّرت عليه لذته، وفسد عيشه، وهو في كل ساعة، بل في كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت، وسكرات النزع وهو آمن في لهواته. وليس هذا إلا من جهة الجهل والغرور، لأنّ المسكين لا يعرف درجة شدة هذه السكرات، لانه لا يعرف كنه معرفتها بالوجدان إلا من رآها.

ولكن يمكن أن يعرف بعض عوالمها تارة من أخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وتارة ببعض الأقيسة العقلية.

وإما القياس الذي يشبّه له فهو:

إن كل عضو لا روح فيه، فهو لا يحس بالألم واذا كان فيه الروح وجد الاحساس، فالمدرك للألم هو الروح، فمهما وقع الجرح، أو الحرق فبقدر سريان الألم الى الروح يتألم منه، وذلك العضو الذي سرى من جرحه، أو قطعة ألم الى الروح إذا كان عضواً كبيراً، أو وقع الجرح على تمامه يشتد الألم بالعيان.

فاذا فرض جميع الاعضاء والعروق وقع عليها العذاب، لابد أن يكون سريان الألم الى الروح أعظم واشدّ.

ولو فرض أن يتعرض للروح ألم مباشر بغير واسطة العضو فلابدّ أنْ يكون ألمه وعذابه شديداً جداً، فالموت انما ينزل منه وبنفس الروح، ويستغرق جميع اجزائه المنتشرة على الاعضاء والعروق والعظام. فان المنزوع مجذوب من كل عرق، وعصب، وجزء ومفصل، واصل كل شعرة، وبشرة، ولذا قالوا: إنّه اشدّ من نشر المناشير، وقرض بالمقاريض، ولذا ترى إنه قبل استكماله ينقطع عنه الأنين والاستغاثة لانه هدّ كل قوة من القوى حتى هدّ صوته ونفسه بعدما يسمع منه الضجّة والأنين والخوار والغرغرة.

فإذا كل قواه انقطع منه كلها. ألا ترى كيف ترتفع الحدقتان، وتتقلص الشفتان، ويرتفع الانثيان، ويتقلص اللسان، فيا لها من كربة بعد كربة؟!! وسكرة بعد سكرة؟!! حتى اذا بلغت، القلوب الحناجر، وينقطع النظر عن الأهل والاحباب بل عن الضياء والنور.

وإمّا الاخبار، فيكفي منها ما في تفصيل موت من اخبر سلمان الفارسي المحمدي حين وفاته، وفيه، انه قال:

«يا سلمان! القرض بالمقاريض، والنشر بالمناشير أسهل، وأهون عليّ من غصة واحدة من غصص الموت.

وكنت أنا من أهل الخير والسعادة، فاذا جاء شخص

عظيم الجثة، مهيب المنظر ما بين السماء والأرض، فأشار الى عيني، ولساني، وسمعي، فعميت، وخرست، وبكمت ـ الى ان قال: ـ فقال ملك الموت: أبشر إنّك من أهل الخير. ودنى منّي، وجذب روحي. وكان كل جذبة مكان كل شدّة تنزل من السماء الى الارض.

وهكذا كان يجذب حتى بلغ الى صدري، فاذا جذب جذبة واحدة شديدة بحيث لو وقعت على الجبال لذابت من شدتها، فأخرج روحي...»[1].

يا أخي! هذه الرواية قد انقضت ظهري، لأن هذا الرجل إنما كان من أهل الايمان وأهل الخير. فان كان أمره بهذا المنوال فكيف يصنع من لا يطمئن، بل لا يظنّ لنفسه خيراً؟!!

وان شئت أزيد من ذلك، فاسمع بعض الاخبار في تفصيل شدة النزع للكفّار.

وهو ما روي عن المفيد عليه الرحمة باسناده عن الباقر عليه السلام، وحاصله: إنّه:

«اذا أراد الله (عزّ وجلّ) قبض روح الفاجر الكافر،

(١) راجع القصة في بحار الأنوار ٢٢: ٣٧٤ ـ ٣٨٠، ح ١٣.

أمر ملك الموت أنْ إذهَبْ باعوانك الى عدوي الذي انعمت عليه بصنوف نعمي، ودعوته الى دار السلام فلم يجب دعوتي، وكفر بنعمتي وخذ بروحه الخبيثة، وألقها في جهنم.

فيجيء ملك الموت إليه ووجه منقبض مهيب مظلم مثل الليل المظلم، ونفسه مثل لهب النار، وعيناه مثل البرق الخاطف، وصوته مثل الرعد القاصف، رأسه في السماء، ورجلاه في الهواء، احدهما بالمشرق والآخر بالمغرب، وبيده سفود له شعب كثيرة مع خمسمائة من الملائكة، وبيد كل واحد منهم سوط مشتعل، وجلس سود، وجمرة من نار جهنم، ومنهم السقاطيس من خزان جهنم، فيدنو منه فيسقيه شربة من شراب جهنم، فاذا رأى هذا الفاجر هذا التفصيل يحار لبّه ويستغيث ويقول: ردّوني الى الدنيا.

ويجاب: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾. فيضربه بالسفود الذي بيده، ويجذب به روحه من طرف رجليه حتى اذا بلغ ركبتيه ولم يقدر على الحركة امر اعوانه ان يضربوه بأسواطهم، ويذيقوه سكرات الموت حتى اذا بلغت روحه الى حلقومه يضربونه بالأسواط، ويقولون

له: ﴿أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾.

واذا أخرجوا روحه يضعون بدنه في مطرقة، يكسرونه من أطراف أصابعه الى حدقتيه، فيخرج منه ريح منتنة يتأذى منه أهل السماوات، فيلعنه الله وجميع أهل السماوات...» الى آخر الرواية[1].

ومنها: ان يتفكر في إنه للأولياء أوّل راحة، وأول سرور وبهجة، والذّ لذّة، ويعلم ذلك أيضاً إما بما أخبر به الانبياء والأئمة (عليهم السلام)، وبما شوهد من شوق المحبين لله إليه وإظهار شوقهم له.

واما الاخبار فهي كثيرة ـ يكفي منها ما في حديث المعراج الذي رويته سابقاً.

وإظهار شوق الأنبياء عليهم السلام والأولياء عليهم السلام يكفيك منها قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«والله لابن أبي طالب آنس بالموت من الطفل بثدي أمّه»[2].

---

(١) الاختصاص: ٣٥٩، باب صفة النار.

(٢) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٢٨.

وقوله عليه السلام:

«لولا الآجال التي كتب الله لهم لماتوا شوقاً إلى الله والثواب»[1].

على عتبة المنزل

وهذا الفكر للمبتدئين نافع جداً، وأما للمتوسطين الذين لاحت لهم بعض أسرار الكون، والقوا بعض الحجب الظلمانية، ففكرهم في معرفة النفس حتى تنكشف عنهم الحجب الظلمانية كلها حتى حجاب الخيال والصور، وتتجلى لهم انفسهم وحقيقتهم بلا مادة وصورة.

فاذا حصلت لهم هذه المرتبة الجليلة، وفازوا بذلك المقام الجليل انفتح لهم الباب الى معرفة الرب وتنكشف له حقائق العوالم لا سيّما عوالم المبدأ، ويرى نفسه بلا مادة ولا صورة.

وتفصيل هذا الاجمال، بتقرير يمكن ان يقال:

هو: إن الإنسان له عوالم ثلاثة: عالم الحس والشهادة ـ اي عالم الطبيعة.

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٦١.

وعالم الخيال والمثال.

وعالم العقل والحقيقة.

فمن جهة إنّ إنيّـته الخاصة إنّما بدأت من عالم الطبيعة كما في الآية الكريمة المباركة: ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾[١].

صار عالمه هذا له بالفعل، وعرف نفسه وحقيقته بعالمه هذا، بل لو سمع من عارف، أو عالم بعالميه الآخرين أنكره، بل لو اخبره أحد بصفات عالمه العقلي لكفّره، وذلك لأنَّ عالمه الطبيعي له بالفعل، وعالميه الآخرين بالقوة، ولم ينكشف له بالكشف التام إلا عالم الطبيعة، وآثار من عالم المثال، وشيء قليل من عالمه العقلي.

والداء العضال إنه من جهة اختلاط آثار العالم المثالي، وإشراق بعض آثار العالم العقلي اخطأ في معرفة عالمه الطبيعي أيضاً.

فكيف كان، فانسانية الانسان انما هو بعالمه العقلي، وإلا فهو مشترك مع سائر بني جنسه من الحيوان في عالميه الآخرين ـ وإن كان عالماه الآخران أيضاً من جهة المرتبة أشرف من عالمي سائر الحيوانات.

وبهذه العوالم الثلاثة وترتيبها وقع التلويح، بل التصريح في

(١) السجدة: ٧.

دعاء سجدة ليلة النصف من شعبان عن النبي ﷺ حيث قال فيها:

«*وسجد لك سوادي وخيالي وبياضي*»[١].

وبالجملة، فعالمه الحسي عبارة عن بدنه الذي له مادة وصورة ـ وعالمه المثالي عبارة عن عالمه الذي حقائقه صور عارية عن المواد.

وعالمه العقلي عبارة عن عالمه الذي هو حقيقته ونفسه بلا مادة ولا صورة.

ولكلّ من هذه العوالم لوازم، وآثار خاصة لازمة لفعليتها.

فمن انغمر في عامل الطبيعة، وتحققت بآثارها وتحركت بحكمها، وضعفت فيه آثار عالمه العقلي، فقد أخلد الى الأرض، وصار موجوداً بما هو حيوان، بل أضلّ من الحيوان كما هو الصريح في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾[٢].

ومن ترقى الى العالم العقلي وغلّب آثاره على آثار عالميه الطبيعي والخيالي، وكان الحاكم في ممكلة وجوده العقل، يصير موجوداً روحانياً حتى يتكامل في العقلانية، وأنكشفت له حقيقته ونفسه وروحه، فإذا ترتفع عنه الحجب الظلمانية بل النورانية أو غالبها بيْنه وبين معرفة الله جلّ جلاله ويتحقق في حق قوله ﷺ:

(١) اقبال الاعمال: ٧٠٣.

(٢) الفرقان: ٤٤.

«من عرف نفسه ... الخ».

واذا تمهد لك هذه الاجماليات فراجع الى تفصيل لوازم كل عالم من العوالم، واشتغل بتدبير السفرة، وتوكّل على الربّ الرحيم، واستعن به، وتوسّل بأوليائه في كل جزئي وكلي من شؤونك.

واعلم أن هذا العالم الحسي هو عالم الموت والفناء، والفقد، والظلمة، والجهل، وهو ذو مادة وصورة، سائلتين زائلتين، دائم التغيير والانقسام. ولا شعور له ولا إشعار إلا بتبعية العالمين الآخرين، وإنما ظهوره للحسن بتوسط الاعراض من حيث وحدته الاتصالية، وإمّا من حيث كثرته المقدارية المتجزئة عند فرض القسمة فكل واحد من الاجزاء معدوم عن الآخر، ومفقود عنه، فالكل غائب عن الكل ومعدوم عنه، وذلك من جهة أن المادة مصحوبة بالعدم، بل هو جوهر مظلم، وأوّل ما ظهر من الظلام.

ولانّها في ذاتها بالقوة وبما له من أصلها في عالم تقبل الصور النورية، وتذهب ظلماتهم بنور صورها، فهذه النشأة اختلط نورها بظلامها، وضعف وجودها وظهورها، ولضعفها احتاجت الى مهد المكان، وظئر الزمان، وأهلها المخصوصون بها اشقياء الجنّ والأنس والحيوان والنبات والجماد.

وفي الحديث القدسي:

«ما نظرت الى الاجسام منذ خلقتها».

وهم اللذون[1] علومهم مختصة بهذا العالم ويعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا، وهم عن الآخرة غافلون.

ولم يتجاوز علمهم عن المحسوسات، ولم يعرفوا من العوالم العاليه إلّا الاسماء، وكلما سمعوا حكاية منها قدروا له لوازم عالمهم وانكروا ما يقال لهم من لوازم غير عالمهم.

وبالجملة مرعاهم ومأنسهم ووطنهم هذا العالم المحسوس، وملاذهم ومقاصدهم كلها من مألوفات هذا العالم. وهم الذين قلنا إنّهم من الذين أخلدوا الى الأرض، وهم الذين يعتقدون أنّ انفسهم انما هي هذا البدن، وأرواحهم هي الروح الحيوانية وإن الجمادات كلها موجودات متأصلة متحققة، وجواهر قائمة بذواتها في عالمها وحيّزها.

وان موجودات العوالم الأُخر ـ على القول بها ـ موجودات اعتبارية خيالية لا حقيقة لها، وان اللذة انما هي في المأكل، والمشرب، والمنكح. وجاه هذا العالم، وذكرهم، وفكرهم، وخيالهم وآمالهم، وعلومهم كلها متعلقة بالمحسوسات، وأُنسهم بها، يحبونها، ويستأنسون بها، ويشتاقون لما لم يصلوا اليه من

(١) اللذون: لغة صحيحة، وقد استشهدوا لها بقول الشاعر:

نحن اللذون صبحوا الصباحا   يوم الهرير غارة ملحاحا

زخارفها، وحلوها وخضرتها، بل يعشقونها، وشَغَفَهُمْ حبّها كالعاشق المستهتر، فمن كان منهم مع ذلك مؤمناً بالله وملائكته، وكتبه، ورسله واليوم الآخر ولكن بإيمان مستقر غير زائل عند الموت لضعفه وقلة نوره، وشدة ظلمة المعاصي، وخلط مع ذلك عملاً صالحاً وآخر سيئاً اولئك ممن يرجى له المغفرة ولو بعد حين.

واما الطائفة الأُولى فهم الأشقياء الكافرون ليس لهم في الآخرة إلّا النار، لانهم من أهل سجّين.

ويوم القيامة إذا ميزت الحقائق، والتحقت الفروع بالاصول التحق ما في هذا العالم من النور الى عوالمه، وبقيت ظلمتها ونارها، وتبدلت صور كل واحد من الافعال والاخلاق بما يناسب عالم القيامة من الحيّأت والعقارب، وعذّب بها فاعلها ومختلقها.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [1].

ولو فرض لهم عمل خير يوفّ اليهم في حياتهم الدنيا، أو ينقص بقدره من عذابهم في الآخرة.

وبالجملة: إنّ الانسان لمّا خُلق ابتداءً من هذه الأرض فإن بقي فيها بعدما خلق فيه الروح والعقل واستأنس بها وألف لذاتها كان

(١) هود: ١٥ ـ ١٦.

ممن أخلد الى الارض فيوم القيامة ملتحق بسجّين.

وان خلص منها بعد ذلك بمعنى ان تحقق بآثار العقل والروح وصار جسداً عقلانياً، وهيكلاً نورانياً (روحانياً) فيوم القيامة يُرتقى الى أعلى عليين.

وبعبارة أوضح: خلق الله الانسان في أول من سلالة من طين وبقي مدة في صورة السلالة والنطفة، والعلقة، والمضغة، والعظم، واللحم، ثم أعطاه الحياة، وبقي حيّاً الى أن وهبه قوة الحركة والبطش، وبقي على ذلك حتى وهبه قوة التمييز بين النافع والضار، فأراد النافع، وكره الضار.

فان اتبع ارادته لارادة الله جلّ جلاله في جميع حركاته وسكناته، ولم يبق له إرادة مخالفة لإرادته تعالى فهذا مقام الرضا، وهذا الشخص دائماً يكون في الجنّة، ولهم فيها ما يشاؤون ولذلك كان اسم خازن الجنة الرضوان.

وفي حديث المعراج:

«إن الله تعالى قال: فمن عمل برضاي الزمته ثلاث خصال: اعرفه شكراً لا يخالطه جهل وذكراً لا يخالطه النسيان، ومحبه لا يؤثر على محبتي محبة المخلوقين»[1].

(١) ارشاد القلوب: ٢٠٤.

ثم ان عرف ان قدرته منتفية في قدرة الله، ولم ير قدرة لغير الله، لا لنفسه ولا لغيره، فهو مقام التوكل، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّـهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

ثم ان وفق مع ذلك ان ينفي علمه أيضاً في علم الله لئلّا يكون بنفسه شيئاً. فهذا مقام الوحدة اولئك الذين أنعم الله عليهم.

فإن اتبع إرادة نفسه وعمل في حركاته وسكناته بهواه ـ والحق لا يتبع بهوى غيره ـ فيخالف هواه مع هوى الحق فيكون هوى الحق ولا يكون هواه. وحيل بينهم وبين ما يشتهون الى ان يوصله اليهوى الى الهاوية، ويقيده بالاغلال والسلاسل في جميع مراداته. وهذا شأن المماليك بالنسبة الى مراداتهم، وذلك سمّي خازن جهنم (مالك).

وان تخلف عن التوكل يقع في الخذلان، وإن تخلف عن جليل مرتبة التوحيد رُدّ الى أسفل الدركات وهي دركة اللعنة ﴿أُولَئِكَ يَلعَنُهُمُ اللّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ﴾.

فإن قلت: كيف يمكن ان يتبع الانسان ارادته كلها في ارادة الله؟

قلت: يكون هذا ويسهل بقوة المعرفة، فان عرف العبد عناية الله، وكان عاقلاً لا يشذّ عن ارادة الله تعالى ـ لأن معرفة عناية الله

تحكم بان الله لا يريد في حقه إلّا الصلاح ـ والعاقل لا يتحرك إلّا للصلاح والإصلاح، ولا يرضى لغير صلاحه، فتنتفي مادة إرادته المخالفة: لان الإرادة انما تنبعث من العلم بالصلاح، واذا علم ان لاصلاح من غير ما أراده الله، فلا يوجد الإرادة.

وان قلت: كيف يمكن نفي القدرة عن غير الله ـ والوجدان حاكم بقدرة نفسه، وقدرة غيره؟

قلنا: ذلك أيضاً يتضح بعد المعرفة بواقع الأمر، وإجمال ذلك: إنّ العارف يقطع إنّه لا يوجد ممكن إلا من علة، وهكذا الى ان ينتهي الى علة العلل. فأفعال العبد أن فرضت صدورها عن قدرته، فقدرته لا محالة ليست صادرة إلا من علتها وهي إرادة الله فلا تكون مقدورة إلا بيد غيره فهو في قدرته غير قادر، والقادر الحقيقي انما هو الله ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ﴾.

وان قلت: هب إن الارادة والقدرة لا توجد حقيقتها إلا في الله فكيف الحكم بنفي العلم والوجود عن غيره تعالى؟

قلت: فانها قصة في شرحها طول، وفي بيانها خطر، ولكن يختلج ببالي ان استعين في ذلك بالله تعالى واشرح هذا المطلب بما يلقي اليّ الله جلّ جلاله في بيانه بالألفاظ السهلة المتعارفة بين أهل العرف العام، لعل يعمّ نفعها، ويقل خطرها لأن اغلب أهل العلم

ينفرون عن إصطلاحات اهل المعقول، وأغلب الناس لا يعرفونها فنقول:

مقدّمة

ليعرف أوّلاً انّ كلمات الأنبياء عليهم السلام أيضاً مشحونة من نفي الوجود والحقيقة عن بعض الموجودات مثل قولهم: «**لا حول ولا قوة إلّا بالله**» وقولهم: «**الحمد لله**» وقولهم: «**لا ضار ولا نافع ولا ناصر ولا معين إلّا الله**» والعيان شاهدة بما يراه كافة الناس من الحول والقوة والخير والضر والنفع والاعانة في العالم من المخلوقات.

بل وفي الرواية: كان النبي ﷺ كثيراً ما يقول:

«**أصدق شعر قالته العرب قول لبيد: إلا كل شيء ما خلا الله باطل**».

قال الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد في معنى (الفرد): إنّه المتفرّد بالربوبية والأمر دون خلقة، ومعنى ثانٍ إنه موجود وحده لا موجود معه[١].

وروى الصدوق رحمه الله عن أبي جعفر عليه السلام:

(١) التوحيد: ٤٠٩.

«**كان الله ولا شيء غيره نوراً لا ظلام فيه صادقاً لا كذب فيه، وعالماً لا جهل فيه، وحياً لا موت فيه، وكذلك هو اليوم، وكذلك لا يزال ابداً..**». نهاية الخبر)[١].

والعالم كلّه شاهد على خلاف ظاهر الرواية، ولأهل الحكمة، والعرفان في هذا الميزان كلمات، وتحقيقات وتفصيلات، ودلالات متكثرة، وحكايات، ومكاشفات عجيبة.

ولأهل السلوك إشكالات، وتوهمات، وتنقلات مختلفة.

ولبعض المنتسبين الى العلم بيانات مضحكة ولبعضهم ردّ وتكفير، وتفسير وخطأ وتخطئة موحشة.

فالذي يمكن تقريبه الى الاذهان العامة المستقيمة بدلالات ظاهرة غير عميقة: إن الحق تعالى جلّ جلاله لا إشكال في كون وجوده الخارجي غير محدد بحد، وغير فاقد لكمال، وإنّه موجود في كلّ مكان وزمان وجوداً حقيقياً خارجياً.

وهذه التصديقات لا أظنّ مخالفاً فيها مسلماً. وإما الشيعة فاتفاقهم على ذلك مما لا ريب فيه.

(١) بحار الأنوار ٥٧: ٢٠٨، ح ١٧١.

وتصوير هذه التصديقات مع ما يتراءى من وجود (جواهره وأعراضه) لا إشكال في إشكاله على من له ادنى فهم، لأن معنى تصديق موجود خارجي غير محدود في مرتبة من مراتب الوجود ـ ملازم للتصديق بانّه لا شريك له في الوجود، لأنّ الشريك في الوجود الخارجي وان كان محدوداً من جهة انه واجد مرتبة من مراتب الوجود الخارجي لا يلائم القول بموجود خارجي آخر غير فاقد لمرتبة من مراتب الوجود الخارجي لأن المفروض أن غير المحدود جزئي حقيقي، ووجوده الخارجي غير محدود بحد ـ أي غير فاقد لشيء من مراتب الوجود الخارجي.

فلأجل ذلك انقسم القائلون بالتصديقات بالمذكور مع ما يرونه من وجود العالم في الخارج الى طوائف.

قال بعضهم: ان العالم وجوده ليس وجوداً حقيقياً، بل وجود اعتباري ظلي كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً.

وقالوا: وجود الحق يساوي بالفارسية لفظة (بود)[1] ووجود العالم بلفظة (نمود)، بل كلما يرى ويتخيل ويتعقل من العالم فهو من اسماء الله وصفاته وأفعاله وليس في الوجود إلا الله واسماؤه

(١) (بود) من أفعال الكينونة تستعمل في معاني فارغة الحصول والكائنة وهو ما يقابل في العربية كان التامة. وإما (نمود) فهي تفيد الجعل والانشاء.

وصفاته وأفعاله.

وبعبارة أُخرى: ليس إلّا الحق وشؤونه ومثّلوا لذلك بأمثلة كثيرة.

وقال الآخرون: فإنّما نقول بهذه التصديقات تعبّداً، ولكن نرى وجود العالم بجواهره واعراضه وجداناً وعياناً وليس لنا ان نتعقل تصوير غير محدوديته تعالى، وإنّه كيف هو، وانه كيف يتصور ذلك مع القول بوجود العالم، ونحن غير مكلفين بذلك، بل منهين عن الفكر فيه، والبحث عنه.

وبعضهم لم يتصوروا من الوجود إلّا الذهني والاعتباري، ولم يروا تناقضاً بين التصديقات ووجود العالم.

وبعضهم.. واستراحوا رأساً: بأنّ معرفة صفات الله غير ممكنة لأحد من المخلوقين، ولو كان من الانبياء عليهم السلام، لأنّه تعالى منزّه عن ان تعرف اسماؤه وصفاته ولو إجمالاً.

وأورد الكلّ على الأولين:

بانّ قولكم: (بانّ وجود العالم ليس وجوداً حقيقياً) يستلزم الكفر؛ لأنه قول بان كل شيء هو الله، وهذا من جهة انه قول بالاتحاد وهو كفر صريح مخالف للتوحيد، وان هذه الجبال الرواسي والحديد الذي فيه بأس شديد، كيف يمكن ان يقال ان وجودهما

ليس حقيقياً، بل هو مرآتياً، وظلال، وخيال، بل شؤون؟ وكيف يمكن ان يقال أنّ الاعيان النجسة بل النفوس الخبيثة من اسماء الله، وصفاته، أو افعاله، وإنه أن كان كما يقولون فكيف اللذات والآلام؟!!

واجيب عن ذلك كلّه: بأن نفي الوجود الحقيقي عن الاشياء ليس قولاً (بأن كل شيء هو الله) وليس قولاً (بالاتحاد).

وحكي ان حكيماً كان في اصبهان وكان من دأبه انه اذا حضره وقت غدائه يرسل خادمه يشتري له ولمن كان عنده ـ كائناً من كان ـ غداءً يأكل معه. واتفق في يوم أن جاءه واحد من طلاب البلد لحاجة وقت الغذاء، فقال الحكيم لخادمه: اشتر لنا غداء نتغدى.

وذهب الخادم، واشترى لهما غداءاً واحضره.

قال الحكيم للفاضل: بسم الله، تعال نتغدى.

قال الشيخ: أنا لا اتغدى.

قال: تغديت؟

قال: لا.

قال: لِمَ لا تتغدى، وأنت ما تغديت بعد؟

قال: احتاط أن آكل من غدائكم.

قال: ما وجه إحتياطك؟

قال: سمعت إنك تقول بوحدة الوجود، وهو كفر ولا يجوز لي أن آكل من طعامك معك، لانه ينجس بملاقاتك.

قال: ما فرضت أنت معنى وحدة الوجود وحكمت بكفر قائله؟

قال: من جهة ان القائل به قائل بأن الله كلّ الاشياء وجميع الموجودات هو الله.

قال: أخطأت. تعال تغد، لأني قائل بوحدة الوجود، ولا أقول بأن جميع الاشياء هو الله، لأن من جملة الاشياء جنابك، وأنا لا أشك في كونك بدرجة الحمار، أو أخس منها، فأين القول بألهيتك؟ فلا احتياط ولا اشكال تعال، وتغد.

وبالجملة: نفي الوجود عن الموجودات ليس قولاً باتحاد الموجودات مع الله تعالى.

والوحدة غير الاتحاد، لأن الاتحاد لا يكون إلا بين شيئين، وهو لا يوافق القول بالوحدة.

فإن قلت: لو سلمنا أن هذا اللفظ لا يلائم الاتحاد ولكن تفسيرهم ذلك في كلماتهم المفصلة إنما يعطي ذلك. وهو قول القائل: (ليس في الدار غير ديّار). وقول القائل: (إن الاعيان حدود

واعدام واحفظني اللهم من الاسقام) و(ليس في الخارج إلا الوجود وهو الله تعالى) وتمثيلهم بالبحر وأمواجه.

قيل في جوابه: مرادهم من هذه الألفاظ إنه ليس لها من جهة انفسها وجود. أي لو فرضت حقائقها، لا وجوداتها فهي اعتبارات وأعدام.

فان قلت: لا نسلم كون مرادهم ذلك، لانهم يقولون إنها بعد الموجودية أيضاً ليست إلا اعداماً وحدوداً للوجود.

قلت: مرادهم ان الماهيات لا يمكن ان تتصف بالوجود الحقيقي.

والوجود الحقيقي الخارجي هو شيء احدي المعنى لا يتصور له شريك في الحقيقة وهو واحد لا يمكن ان يكون اثنين.

والحقائق والأعيان حقائقها عبارة عن شؤون هذا الوجود والموجود الحقيقي. ومن جهة إنك لا تعرف الوجود الحقيقي تتخيل أن هذا الوجود الذي تراه لنفسك ولغيرك من الظهور والكون ـ هو وجود حقيقي كما إنك تتخيل أن جواهر العالم جواهر، ولكنك إذا تأملت بالتأمل الصحيح، أو انكشفت لك حقيقة الأمر بالكشف الشهودي ترى ان الجواهر كلها اعراض وأشكال للوجود الحقيقي بل هي اعراض وحدود للوجود المنبسط الذي هو أيضاً شأن من

شؤون الوجود الحقيقي، وأمر ارتباطي لا أصل له حقيقة.

فان قلت: كيف يمكن ان يقال بذلك، ووجودات الجواهر حسيّة، وكونها جواهر عقلية. لأن الجوهر والعرض معنيان يعرفهما العقل. ولكلّ في الخارج مصداق حسيّ مطابق للمعنيين. والعقل إنما ينتزع المعنيين من المصاديق الخارجية وأنت في قولك ذلك تخطىء العقل والحس، وليس لنا وراء العقل والحس أمرٌ تحكم به على الاشياء.

قلت: أما قولك: (بأن مصاديقها تدرك بالحس) فهو لا ينفع في تحقيق كونها جواهر، او اعراضاً حقيقية أو غير حقيقية.

وأما قولك: (أن العقل يحكم للجواهر بالجوهرية) فهو حق، إلا إنه بعد النظر الصحيح لا يحكم إلا بكونه جواهر نسبيّة، بالنسبة الى اعراضها، ولا يحكم بكونها جواهر حقيقية لانه لا يشك بعد النظر الصحيح في إنه لا قوام لشيء من الموجودات إلا بالله الحيّ القيّوم. وقد قامت به السماوات والأرضون كلها. وهذه الجبال الرواسي الثقال إنما تحس موجودة متصفة بالجوهرية. بل الحس لا يرى معها في محلها شيئاً آخر، ويراها جامدة ساكنة، لكنها كلها في خطأ الحس، بحكم العقل بخطئها، ويوضح ذلك لأهلها، بحيث لا يشكّون في إنّها ليست جواهر حقيقية، وليست جامدة، بل سيّالة متحركة عن جيرانها من الاجسام.

وخطأ الحس ليس أمراً غريباً، بل له أمثلة ومصاديق معروفة في الخارج ـ بعضها وإن كانت خفيّة لعقول العامة ـ ولكن بعضها الآخر تدركها العقول العامة الناقصة أيضاً.

ويتضح ذلك بأدنى تأمل لأن حقيقة الوجود يمتنع عليها العدم، وإلّا لاتصف الشيء بنقيضه، أو بما يساوق نقيضه، وهو بديهي البطلان، ضروري الفساد.

وكلما امتنع عدمه ثبت قدمه بالضرورة. فحقيقة الوجود ثبت قدمها، فلا يمكن القول بأن للأشياء وجوداً حقيقياً، فتأمل واغتنم، فإن ما ذكرناه برهان الصديقين في إثبات توحيده تعالى، وهو معنى قول علي عليه السلام: «*يا من دلّ على ذاته بذاته*».

فإن قلت: إن كان الإنيّات والماهيات إعداماً وحدوداً ليس لها وجود حقيقي ولو بعد الايجاد، فكيف اللذة والألم وهما وجدانيّان لا يمكن أنكارهما، وجواب منكرهما إنما هو الضرب والإيلام!

قلت: أما وجود اللذة والألم الوجدانيين فلا ننكره، بل ولا غيرهما من آثار الموجودات الخارجية أيضاً ولكنه لا يستلزم أن يكون وجودهما، ووجود واجدهما وجوداً حقيقياً، بل نقول: إن هذا الوجدان والآثار الوجدانية إنّما هي من آثار الوجود الربطي، والأمر الشأني، فإنك إذا فرضت إنّ لإشكال هذه الاجسام إنيّة وحياة ولذة وألماً ـ من بعض حالاتها ـ ترى ان الوجود الشكلي لا ينافي اللذة والألم. بل إذا تأملت بالنظر الصحيح ترى ان ذي الشكل أيضاً في التحقيق العقلي ينحلّ الى اشكال وحدود في الوجود المنبسط وهو أيضاً من شؤون الوجود الحقيقي، وتجلي من تجلياته، وظهور من ظهوراته، ولا تستبعد ذلك، فان كمال الوجود الحقيقي بحيث يكون أوجب لشؤونه هذا الشأن العظيم، فان لشؤونه شؤوناً اخرى أيضاً غير ما رأيت وغير ما خطر بقلبك، فكيف اذا نلت بها وانكشفت لك حقائقها؟!!

وببالي أن هذه النفوس الضعيفة إذا انكشف لها أنوار بعض العوالم العالية يتخيلون إنه نور الواجب تعالى من جهة ضعف ادراكهم، وقلة معرفتهم كما يحكى ذلك لبعض العظماء من الاولياء فضلاً عن غيرهم.

فكيف كان..؟

فالقول بأن الوجود الحقيقي مختص بالواجب تعالى جلّ جلاله، وإن وجود غيره من الممكنات ليس وجوداً حقيقياً، بل نظير وجود العكوس في المرايا لا استبعاد فيه.

والقائلون بوحدة الوجود أن كان مرادهم ذلك، فهو ليس قولاً

بكونِ الممكن واجباً.

بل ولو كان القول به خطأ، فهذا ليس خطأ كفريّاً، بل هو خطأ في تحقيق حقيقة الممكن، وليس في ذلك إلا إنكار مرتبة من الوجودات له، وإنكار فضيلة من فضائله لا اثبات مرتبة الواجب له.

بل يمكن أن يقال:

ان القول بأن للأشياء وجوداً حقيقياً أقرب الى دعوى شركة الممكن مع الواجب في الوجوب، وكون الممكن واجباً[1] وهو كفر من حيث لا يشعر.

ولكن الإنصاف إن القائلين بذلك ـ أيضاً ـ لا يلتزمون بلازمة الكفر.

كما أن الانصاف إنّ القائلين بتوحيد الحق في الوجود الحقيقي لا يلتزمون بكون الممكن واجباً، وان كان ذلك لازم قولهم في الواقع وفي نفس الأمر.

(١) بسمه تعالى... يجب على الموحّد أن يقول: إنّ مع جميع الأشياء وجميع أجزاء العالم موجوداً خارجياً حقيقياً محيطاً بها من جميع جهاتها نورانياً قيّوماً لها بل وموجداً لها في كلّ آنٍ وجودها منه وقيامها به وهو مع ذلك ظاهر وباطن وأوّل وآخر مع كلّ شيء لا بالممازجة ودون كلّ شيء لا بالمزايلة. منه رحمه الله.

فالتفكير بلوازم العقائد ليس على ما ينبغي.

وبالجملة: لا يذهب عليك ان القائلين بهذا الأمر الذي قالوا به من طريق المكاشفة لا يقولون أن الحجر مثلاً ليس بموجود في هذا العالم المحسوس، أو ليس بحجر، أو ليس فيه صلابه وثقل.

بل يقولون: كما ان وجوده في هذا العالم وجود ظليّ، وكذلك صلابته وثقله إنما هو بالنسبة الى أهل هذا العالم ـ موجود بهذا الوجود الخاص، ومتصف بهذه الصفات الخاصة.

وبالنسبة الى أهل عوالم المثال، وجوده مثالي، وصفاته أيضاً مناسبة لوجوده المثالي.

وهكذا وجوده في العالم العقلي وجود عقلاني وصفاته أيضاً بحسب وجوده.

وهكذا إلى ان يلاحظ بالنسبة الى عالم الذات فلا وجود له في هذا العالم، ولا أثر ولا ذكر ولا اسم، ولا رسم، وإنّما الموجود الحقيقي هو ذات الحق تعالى في الواقع، فلا وجود لشيء غيره واقعاً، فإذا تجلى جلّ جلاله لنبي أو وليّ بذاته فلا يرى شيئاً غيره حتى نفسه ورؤيته وفنى عن العالم، وعن نفسه، وعن فنائه، وبقي بربّه، فيخبر عن الواقع، ويقول (ليس في الدار ديّار علينا رحمة الله الملك الغفار).

وهذا هو آخر المقامات، ولا مطمع لأحد ـ نبيّاً كان، أو ولياً بشراً كان، أو ملكاً ـ في غيره.

ولا يذهب عليك ان ما ذكرناه من العوالم إنما هي داخل هذا العام وليس خارجاً عنه.

بمعنى أن هذا العالم حاله وكيفية للموجودات في حدّ ومرتبة من الوجود.

وعالم المثال حالة وكيفية اخرى ألطف من هذه الكيفيات في باطن هذا العالم، وليس خارجاً منه.

فمن كان له نورٌ لعينه الحسيّة، واجتمع بنور الشمس أو القمر الحسيين يرى العالم الحسيّ بكيفيات حسيّة، وصور حسيّة.

ومن كان لعينيه المثالية نور مثالي، واجتمع نوره بنور الكواكب المثالية يرى مثال هذا العالم بكيفيات مثالية، وصور مثالية.

فإنّ كيفيات العوالم وصورها مختلفة كل بحسبها ومناسباتها، وهكذا.

ويكشف عن هذا الاختلاف الرؤيا وتعبيرها بما يرى واقعه مطابقاً لصورتها المثالية.

يرى النائم اللبن، ويفسّره المعبّر بالعلم، ويقع في الواقع ما

يرى على وفق التعبير.

حكي أنه رأى رجلٌ في رؤياه ان بيده خاتماً يختم به أفواه الناس وفروجهم، فجاء الى المعبّر، وذكر رؤياه، قال: إن صدقت رؤياك أنت رجل مؤذن، تؤذن في شهر رمضان قبل طلوع الصبح.

وكان كما ذكره.

ويكشف عن ذلك الأخبار الكثيرة الواردة في احوال البرزخ، والقيامة، وتجسيم الاعمال بما يناسبها من الصور.

تحصل من جميع ما قلنا:

ان الموجود الحق الواقعي إنما هو الذات جلّ جلاله في عالمها. وسائر العوالم إنما هو شأن من شؤونها، وتجلّي من تجلياتها، مثلاً تجلى بالتجلي الأولى، فوجد منه العالم العقلي، ثم تجلى ثانياً، ظهر العالم النفسي، وهكذا الى أن خلق هذا العالم الحسي، ففي الخارج موجود حقيقي حق ثابت وشؤونه، فكل شأن من شؤونه عبارة عن عالم من العوالم تام في مرتبته، ولكل عالم آثار وصفات حتى ينتهي الى أخس العوالم، وأكثفها، وأضيقها وهو هذا العالم المحسوس وهذا العالم كيفية خاصة، وصور، وحدود شتى لازم لهذه المرتبة من الوجود، ووجوده وآثاره مخصوصة

بعالمها... وهكذا[١].

وعالم الرؤيا انما هو عالم المثال، فكلما يرى فيها فهو من هذا العالم، أرضها وسماؤها وجمادها ونباتها، بل وصور المرايا أيضاً منه، والصور الخيالية أيضاً منه.

وهذا العالم عالم واسع، بل عوالم كثيرة. بل قيل: انّ في عالم المثال ثمانية عشر ألف عالم.

وحكي عن بعض العرفاء إن كلما ورد في الشرع مما ظاهره مجاز في عالمنا، فقد وجدناه في بعض هذه العوالم حقيقة من غير تجوز، فكما ان كلما يراه النائم في الرؤيا إنما هو حال، وكيْف مثالي يظهر لنفسه في عالم المثال، فكذلك ما يراه اليقظان في عالمنا هذا الحسي حال، وكيْف حسّي يظهر لنفسه في عالم الحس.

فان قيل: ما يراه اليقظان كيْفٌ للمرئي لا الرائي.

قلت: نعم عند العامة هكذا، ولكن الواقع خلافه، لأن الرؤية

(١) والذي يمكن أن يتمثّل به لتقريب هذا المطلب ـ وان لم يطابق مع واقعه في سائر الجهات ـ هو العلم مع المعلومات فكما أنّ المعلومات ليست موجودة إلّا بالعلم وماهيّاتها غير العلم ويصحّ أن يقال إنّ الموجود الحقيقي واحد وهو العلم والمفاهيم المتصوّرة المعلومة انّما هي من شؤون العلم ولا وجود لها في الواقع غير ارتباطها بالعلم ويصحّ أن يقال أيضاً: انّ مفاهيمها مختلفة ومباينة لمفهوم العلم ـ فيرتفع الاستبعاد بذلك عن القول بنظيره في حقّ العالم. منه رحمه الله.

حقيقتها كيفية تصويرية للنفس عند مقابلة المرئي لمن له عين صحيحة بشرائط مخصوصة ولم يعلم مطابقتها لواقع صفات المرئي أيضاً ـ بمعنى أن تكون هذه الصورة المرئية في الواقع كما في نفس الرائي ـ بل كثيراً ما يرى الاختلاف في الرؤيتين لشخص واحد في زمان، او لشخصين في زمان واحد، ويختلف بالنسبة الى القريب والبعيد.

وهذا التكيّف المعلوم للرائي إنما هو بحكم الحاكم تعالى للرؤية عند حصول شرائطها على اختلاف الرائين، وعلى اختلاف عوالم الرائين.

ولعل للعين المثالي بالنسبة الى المرئي كيفية اخرى، وتصور آخر في حكمه.

وبالجملة: هذا العلم الذي يحصل للرائي بان الشيء الفلاني مثلاً احمر في صغر أو كبر مخصوص ليس إلّا كيفية خاصة لنفسه يحصل لها عند اجتماع شرائط الرؤية ولا سبيل لنا الى القطع بان ذلك انكشاف صفة من صفات المرئي على ما هو الأمر في الواقع، بل نقطع بان للمرئي اذا رأيناها تتكيّف أنفسنا وتتصور بهذه الصورة إذا رأيناه بعيوننا الحسية عن قريب.

ونعم انّ هذه الهيئة أو الكيفية قد ترى بالعين المثالي بغير هذه الصورة. ونرى ان الذي تراه العين الحسية من الهيئات انما يختلف

في شيء واحد بالقرب والبعد بل بالنسبة الى شدة نور الكواكب والسرج وضعفها، بل بالنسبه الى الصحيح والمريض، وبالنسبة الى من أكل بعض الأدوية ومن لم يأكل بل إذا رأيناه بالعين اليمنى رأينا مكانه في غير مكانه الذي رأيناه باليسرى فيه، بل قد نرى الشيء الواحد اثنين إذا نظرنا الية مثل نظر الاحوال.

وهذه كلها لا تلائم الحكم بأن الرؤية إنما هو نيل صفة في المرئي واقعية.

وأيضاً لو كانت الرؤية بنيل الرائي الى المرئي لتأثر من سائر صفاته أيضاً من السخونة والبرودة وغيرهما.

وبالجملة: فالرؤية، وكذلك الخيال، والتعقل كما قيل انما هو باتحاد الرائي والمرئي، والمتخيِّل والمتخيَّل، والعاقل والمعقول، لا بالإضافة المحضة.

فالإدراك لا يمكن إلّا بنيل المدرك لذات المدرك، وذلك إما بخروجه من ذاته الى أن يصل اليه، او بإدخاله أيّاه في ذاته، وكلاهما محال إلّا ان يتحد معه، ويتصور بصورته.

فالذات العالمة ليست بذاتها بعينها هي الذات الجاهلة. فالعلم بالاجسام لا تعلق بوجوداتها الخارجية لأنّ صورها بما هي، هي ليست حاصلة بهذا النحو من الحصول الاتحادي إلّا لموادها. ليست حاصلة لانفسها.

وحصولها لموادها ليس بنحو الحصول العلمي إذ هي أمر عدمي ليست إلّا جهة القوة في الوجودات، فليس لها في انفسها ذات يصح أن تدرك شيئاً وتعلمه.

وإذا لم تكن الصور الخارجية للأجسام مما يصح أن يحصل لها شيء من الحصول المعتبر في العلم، ولا هي حاصلة لما يصح له أن يعلمها فليست هي عالمة بشيء أصلاً لشيء ان يعلمها بعينها كما هي.

فهي اذن معلومة بالقوة بمعنى أن قوتها أن ينتزع منها عالم صوراً فيعلمها ـ أي يتصور بمثل صورها لاستحالة انتقال المنطبعات في المواد فالمعلوم بالذات من كل شيء ليس إلّا صوراً إدراكية قائمة بالنفس، متحدة معها لا مادة خارجية.

فالمعلوم بالفعل ليس معلوماً إلا لعالمه، فكل عالم معلومه غير معلوم آخر وهو في الحقيقة عالم وعلم ومعلوم... وهكذا.

والمقصود من التعرض لهذه التفصيلات التنبيه الى الفكر في معرفة النفس، وكيفية الترقي منها الى معرفة الرب، والاستدلال بما يستحكم به تصديق ذلك، وان يتفطن المبتدي لأصول تنفع في فكره، وإلا فليس كيفية الفكر إلا ان يشتغل المتفكر تارة لتجزئة نفسه، وأخرى لتجزئة العالم حتى يتحقق له إن ما يعلمه من العالم ليس إلا نفسه وعالمه، لا العالم الخارجي، وإن هذه

العوالم المعلومة له إنما هي مرتبة من نفسه، وحتى يجد نفسه، نفسه ما هي..

ثمّ ينقّي عن قلبه كل صورة وخيال، ويكون فكره في العدم، حتى تنكشف له حقيقة نفسه ـ أي يرتفع العلم من بين يديه، ويظهر له حقيقة نفسه بلا صورة، ولا مادة.

وهذا هو أول معرفة النفس، ولعلّ الى ذلك أشير في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾[1].

حيث سئل عنه، وقال عليه السلام:

«نور يقذفه الله في قلبه فيشرح صدره.

قيل: هل لذلك من علامة؟

قال عليه السلام: علامته التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الفوت»[2].

ولعلّ العامة لا يعتقدون في معنى التجافي إلّا الزهد في شهوات الدنيا، ولا يتصورون معنىً للتجافي الحقيقي الذي هو ارتفاع الغرور الواقع في هذا العالم لأهله. وعدم رؤية الأشياء كما

(١) الزمر: ٢٢.
(٢) نور الثقلين ٤: ٤٨٥.

هي، الذي هو شأن العامة الذين لم يبلغوا بعد معرفة النفس بهذه المعرفة.

هذا، وقد بقي هنا شيء، وهو إنّ إطلاق الوجود على الله جلّ جلاله كما في ألسنة أهل المعقول لم يرد في الشرع، فما مقصودهم؟

أقول: وإما عدم وجود هذا الاطلاق في الاخبار فهو حق، الّا أن نظائره موجودة مثل إطلاق الحياة والعلم.

ولعل الذي صار سبباً لهذا الإطلاق هو نفي توهم زيادة الوجود على الذات، وإلا فالمفروض إن مرادهم إنما هو الوجود الخارجي القائم بنفسه، والقيوم بجميع الموجودات، وهذا هو الذي يريد الشرع من إطلاق الموجود، فكما إن إطلاق الحياة للحي تعالى، إنما هو للإشارة الى ان حياته تعالى ذاتية وليست حياته شيئاً آخر وراء ذاته. وهكذا علمه. فكذلك وجوده.

نعم، من جهة إنه لم يرد في الشرع ان ينادى بـ(يا وجود) ويا حياة، ويا علم، لا نجاوز عما ورد.

وبعبارة أُخرى: لأجل عدم ثبوت تسميته تعالى بالوجود والعلم والحياة نتوقف عن التسمية، ولكن الإطلاق في مقام البيان غير التسمية. كما روي في وصفه تعالى، انه علم لا جهل فيه، ونور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت معها، ولم يقع خطابه بيا علم، ويا حياة.

تحقيق

قد كثر في أخبار أهل البيت عليهم السلام ما يظهر منه إن من اصولهم الكلامية إن كل ما وجد في الممكن من الصفات يجب نفيه عن الله تعالى مثل قولهم عليهم السلام :

«*مستشهد بحدوث الاشياء على أزليته وبما وسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه*»[1].

ومثل قوله عليه السلام :

«*وبتهجيره الجواهر عرف إنه لا جوهر له ، وبتشعيره المشاعر عرف أنّ لا مشعر له*»[2].

وهكذا...

وورد أيضاً انه تعالى: حي ، عالم ، سميع ، بصير ، قادر ، مريد، كاره ، متكلم ، وهذه الصفات موجودة في الممكن أيضاً، فكيف التوفيق ؟

وهكذا في كلام أهل المعرفة نفي صفات الإمكان عنه أمرٌ ظاهر.

---

(١) التوحيد : ٦٩.

(٢) التوحيد : ٣٧.

قولهم أيضاً .. بلزوم المناسبة بين العلة والمعلول في الصفات غير مستور.

ووجه التوفيق إنما يعرف من ملاحظة الدليل، والدليل على الأصل الأول في كلامهم، والدليل على الأصل على ما ظهر لبعضهم هو حكم الإطلاق والتقييد.

فإنّ من له الإطلاق الواقعي غير المحدود بجهة من الجهات لابد أن تكون صفاته مخالفة لصفات من تعينت إنيّتُه وماهيّته من حدّه.

فالصفات التي نشأت من التعين لابد أن تخالف صفات من لا تعيّن له.

فتعين أن مورد حكم الأول إنما هو في صفات الممكن من حيث إمكانه وإما من حيث وجوده فلابد أن يكون فيه من آثار صفاته جلّ جلاله بقدر قربه منه.

فالعلم والقدرة والإرادة والكراهة والنطق في الانسان دون الجماد صفات وجودية ثابتة لهذه المرتبة من الوجود.

وأمثال هذه الصفات هي المراد من قول أهل المعرفة بلزوم المناسبة بين العلة والمعلول.

فصفات الممكن نوعان:

نوع منها لازم جهة وجوده، وهذا لا يخالف صفات الواجب بل يشبهها.

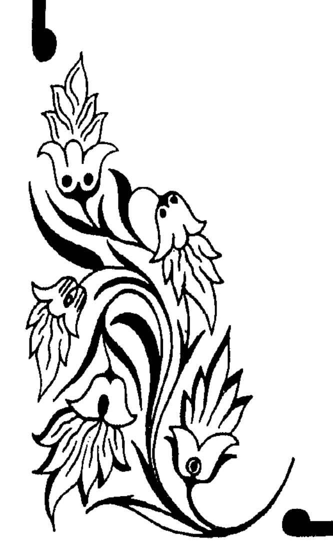
ونوع منها لازم بجهة لنفسه وماهيته فهو الذي يـجب تـنزيه موجده عنه، فما يوجد فيه من صفات الواجب فهو ليس من صفاته من حيث الامكان.

تم الكتاب والحمد لله تعالى ربّ العالمين.



رسالة المؤلف قدس سره العرفانية

للعلّامة الكمپاني رحمه الله



كتب العارف الملكي جواباً لرسالة العلّامة الكمپاني[1] شرح له طريقة وبرنامج أستاذه الهمداني في السلوك العرفاني، وقد جاء في هذا الجواب:

---

(١) قال العلّامة الطباطبائي في تعريف الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمپاني: «كان الشيخ أصفهاني الأصل ولكنّه قضى أيام حياته في العتبات المقدّسة، وبعد إكمال دراسة المقدمات التحق بدرس الفيلسوف الإلهي الشيخ محمد باقر الاصطهباناتي لدراسة الحكمة، وحضر ثلاثة عشر عاماً دروس الآخوند الخراساني في الفقه والأُصول، وكانت له في تهذيب نفسه وتزكية باطنه علاقة ومكاتبة مع العالم التحرير فخر المجتهدين وسند العارفين الميرزا جواد الملكي الذي كان من أكابر تلامذة الآخوند الملا حسينقلي الهمداني». طبيب دلها: ١٦٦ ـ ١٦٧.

أقول: وقد كتب الشيخ الكمپاني الى العارف الملكي رسالة يطلب منه برنامجاً للسلوك ممّا تعلّمه من أُستاذه الملا حسينقلي الهمداني.

وممّا يجدر ذكره أنّ الشيخ الكمپاني ترك الدرس والبحث إثنا عشر عاماً وتفرّغ للعبادة والسلوك في طريق العرفان.

وخلّف آثاراً علمية وعرفانية وفلسفية مهمة، منها: كتاب الأنوار القدسية، وتحفة الحكيم، وديوان شعر، ونهاية الدراية. توفي سنة ١٣٦١ هـ ودُفن في النجف الأشرف. (**المترجم**).

بسم الله الرحمن الرحيم

روحي فداك...

بعد الإعراض عن مشقّة المجاملات وعدم الوصول الى الواقعيات على ما تفضلتم به في رسالتكم، وطلبكم من هذا المفلس برنامجاً يوصلكم الى ما تريدون، فأقول بلا تكلّف حقيقة ما تعلّمته للسير في هذه العوالم وتحدثت لك منذ البدء عن بعض نتائجه بالتفصيل، لرغبتي الجامحة في أن أكون مع باقي رفاقي على صبغة واحدة في جميع العوالم.

وأُبيّن لكم هنا أصل وأساس ما أعلم لزومه في هذا الطريق بلا ضيق عليّ في ذلك، وأشرح لكم الآن إجمال ما تعلمته مرّة أُخرى.

قالوا في الطريق المطلوب لمعرفة النفس: إنّ النفس الإنسانية ما لم تعبر من عالمها المثالي فسوف لن تصل الى العالم العقلي. وما لم تصل النفس الى العالم العقلي فلا تحصل لها حقيقة المعرفة، ولن تصل الى المطلوب.

ولهذا ومن أجل الوصول الى هذا الهدف قال المرحوم

المغفور له[١] (جزاه الله عنّا خير جزاء المعلّمين):

يجب على السالك أن يقلّل من طعامه مقداراً أكثر من المتعارف، ويوفّر وقتاً أكبر للاستراحة لتضعف الصفة الحيوانية عنده وتقوى الجنبة الروحية، وقال في تعيين ميزان ذلك:

أولاً: على السالك أن لا يتناول أكثر من وجبتين في اليوم والليلة، وأن لا يأكل بين الوجبات.

وثانياً: يجب عليه عندما يريد أن يأكل أن يكون ذلك بعد ساعة من الجوع، وأن لا يأكل بمقدار لا يشبع معه.

هذا في قلّة الطعام، وأمّا في كيفيّته:

فيجب عليه إضافة إلى مراعاة الآداب المعروفة أن لا يتناول لحماً كثيراً، بمعنى أن يترك أكله في وجبتي الليل والنهار، وأن يترك أكله أيضاً في كل أُسبوع يومين أو ثلاثة. وإن استطاع تركه نهائياً فليفعل.

ويجب على السالك أيضاً أن يمتنع عن أكل الكرزات (الفستق والجوز واللوز والحمص والبندق وبزر القرع) فإن نازعته نفسه جداً الى أكله فليستخير الله في ذلك. وإن استطاع صيام ثلاثة

---

(١) ويعني به أُستاذه الملّا حسين قلي الهمداني.

أيام من كل شهر فليفعل.

وأمّا بالنسبة الى تقليل النوم فكان يقول:

ينبغي للسالك أن ينام ست ساعات فقط في اليوم، وأن يهتم كثيراً بحفظ لسانه، وعليه باجتناب معاشرة أهل الغفلة، وهذا كافٍ في تقليل الجنبة الحيوانية عنده.

وأمّا ما يجب على السالك الإتيان به في سبيل تقوية الجانب الروحاني فهو:

أولاً: أن يكون مغموماً مهموماً محزوناً قلبه دائماً بسبب عدم الوصول الى المطلوب.

وثانياً: أن لا يترك الفكر والذكر ما استطاع الى ذلك سبيلا.

وهذان هما جناحا السير في سماء المعرفة.

وعُمدة الوصايا في الذكر هي أذكار الصباح والليل، وأهمها ما ورد في الأخبار.

وأهم التعقيبات هي الصلاة على محمد وآل محمد.

وعمدة الذكر هو ما كان عند النوم على ما هو المأثور في الأخبار، لا سيما إذا كان متطهّراً بحيث يغشاه النعاس وهو في حال الذكر.

وأما قيام الليل فكان يوصي أن يكون قبل ساعة ونصف من طلوع الفجر في الصيف وثلاث ساعات قبل طلوع الفجر في الشتاء.

وكان يقول: لقد رأيتُ آثاراً عظيمة من سجدة الذكر اليونسيّة[1] ـ أي ينبغي الاستمرار عليها ليلاً ونهاراً ـ وكلّما أُتي بها أكثر كان أثرها أعظم، وأقل القليل فيها هو تكرارها أربعمائة مرة،

---

(١) من الأعمال المتعارفة عند السالكين هو ذكر اليونسية في حال السجود لمدة ساعة أو (٤٠٠) مرّة عل الأقل في كل يوم، وقد جاء في كتاب (أسرار الصلاة: ١٠٣ ـ ١٠٤) للعارف الملكي التبريزي نقلاً عن أُستاذه حسين قلي الهمداني الأهمية العظمى لهذا العمل إضافة الى قراءة سورة القدر مائة مرّة في ليلة الجمعة وعصرها، قال:

«ثم إنّي سألت بعض مشايخي الأجلّة الذي لم أرَ مثله حكيماً عارفاً، ومعلّماً للخير حاذقاً، وطبيباً كاملاً: أي عمل من أعمال الجوارح جرّبتم أثره في تأثّر القلب؟ قال: سجدة طويلة في كلّ يوم يديمها ويطيلها جدّاً، ساعة أو ثلاثة أرباعها، يقول فيها: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ شاهداً نفسه مسجوناً في سجن الطبيعة، ومقيّدة بقيود الأخلاق الرذيلة، ومنزّهاً لله تعالى بأنّك لم تفعله بي ظلماً، وأنا ظلمت نفسي وأوقعتها فى هذه المهلكة العظيمة. وقراءة القدر في ليالي الجمع وعصرها مائة مرّة.

قال ﷺ: ما وجدت شيئاً من الأعمال المستحبّة يؤثّر تأثير هذه الثلاثة.

وقد ورد في الأخبار ما حاصله أنّه ينزل يوم الجمعة مائة نفحة أو رحمة، تسع وتسعين منها لمن قرئها مائة مرّة في عصرها، وله نصيب في الواحدة أيضاً». (*المترجم*).

وقد جرّبت ذلك بنفسي أيضاً، وادّعى تجربة ذلك أيضاً أشخاص آخرون.

وممّا يزيد في تقوية الجانب الروحي عند السالك أيضاً هو قراءة القرآن الكريم وإهداء ثوابها الى النبيّ ﷺ.

وكان يقول فيما ينبغي للمبتدىء التفكير فيه:

ليفكّر في الموت الى الوقت الذي يشعر فيه من حاله أنّ الاستمرار في ذلك سينتهي به الى الحيرة، وإجمالاً يجد في نفسه استعداداً، وحينئذٍ يلتفت الى عالم خياله ويفكّر عدّة أيامٍ ليلاً ونهاراً ليفهم بأنّ كل ما يتخيّله ويراه هو نفسه ولا يخرج عن حدود نفسه. فإذا تحوّل ذلك الى ملكه في نفسه فانّه سيرى نفسه في علام المثال، أي يفهم حقيقة عالم مثاله، ويكون له هذا المعنى ملكة.

وكان يقول:

وعندئذٍ يجب على السالك تغيير تفكيره ويمحو جميع الصور والأوهام والتفكير في العدم. وإذا صار ذلك ملكة عند الإنسان فلابدّ أن يتجلّى له سلطان المعرفة، أي سيفوز بتجلّي حقيقة نفسه بالنورانية وبلا صورة وحدّ بكامل البهاء. فإذا رآه وهو في حال الجذبة كان أفضل، وعندما يجد الرقي في العوالم العالية فسيرى أثر

كل سيرٍ حاضراً.

ومن أجل ترتيب هذه العوالم:

يجب على الإنسان أولاً أن يترقّى من عوالم الطبيعة هذه الى عالم المثال، ثم الى عالم الأرواح والأنوار الحقيقية.

ومن العجيب أن نرى التصريح بهذه المراتب في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان، والذي سيكون موافقاً لوصول الرسالة، حيث يقول: «*سجد لك سوادي وخيالي وبياضي*» وعندما تفنى هذه الثلاثة بأجمعها سيحصل أصل المعرفة، حيث أنّ حقيقة السجدة هو عبارة عن الفناء، وعند الفناء عن النفس بمراتبها يحصل البقاء بالله (رزقنا الله وجميع اخواننا بمحمّد وآله الطاهرين).

ولم نحرم ـ والحمد لله ـ ببركة دعاء الاخوان من هذه العوالم إجمالاً. وقد جعلت الدعاء لكم ولبعض الاخوة الآخرين وردي الليلي.

وحدّ إكمال التفكير في عالم المثال، والذي يكون بعده محو الصورة، هو:

إمّا أن يلتفت بنفسه تلقائياً ويرى حقيقة الموضوع عياناً، أو يفكّر الى الحدّ الذي يعبر من العلميّة الى العيان، وحينئذ

تمحى الأوهام بالتفكير في العدم الى أن يتجلّى من جهة حقيقة نفسه»[١].

(١) قال العلّامة الطباطبائي في توضيح بعض عبارات الرسالة جواباً على سؤال الشيخ حسن زاده الأملي: ما معنى قول الميرزا الملكي: «وحينئذٍ يلتفت الى عالم خياله»؟

قال: ما لم يجد الإنسان العلم فجميعه في صقع نفسه، والجميع عالم مثال لعلمه هو. وكل ما تراه (أي ما تدركه) هو نفسك وليس هو أمراً خارجاً عنك.

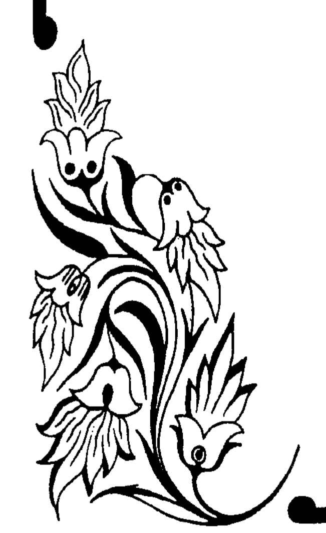
والمقصود من قول الملكي «يجب تغيير الفكر ومحو جميع الصور والأوهام والتفكير في العدم» هو أن جميع هذه هي مظاهر تجلّيات الحقّ تعالى، وعليك أن ترى الحق في هذه المظاهر، ولا تنظر لها على أنّها وجودات مستقلّة، وهو المراد من العدم، وبما أنّ وجود الظهور بلا مُظهِرٍ والجلوة بلا مُجلي لا معنى لها، ولا يمكن لها أن تتحقّق، فإذن الجميع يُرى بها الحقّ. والعارف هو ما اكتشف أخيراً ما كان قد حصل عليه أولاً. وجميع الناس يكتشفون في حالة إلّا أن طريقة الاكتشاف مختلفة. ويكون حينئذٍ قد وصل الى عالم النور والبياض والعيان.

طبيب دلها: ١٧٣ ـ ١٧٤. *(المترجم)*.

السير إلى لقاء الله

للعارف والمحدّث

الفيض الكاشاني رحمه الله



كلمة بها يجتمع بين امتناع المعرفة والرؤية وبين إمكانهما

اذا كان كروبيو[1] الملأ الأعلى توقفوا فـي مـقام «*لو دنـوت أنملة*»، والمقربين اعترفوا بـالقصور وذلك بـقولهم «*مـا عـرفناك*»، والمشاهدين وقفوا أمام ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ و «*إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار*»، ولكن الشجاع والولي يقول: «*لم أعبد ربّاً لم أره*»، وقدمه وقفت في جادة «*لوكشف لي الغـطاء مـا ازددت يقيناً*».

نعم، ليس هناك طريق لكُنه الحقيقة، لأنّها محيطة بكلّ شيء، ولا يمكن احاطتها بشيء، ولا يمكن ادراكها من شيء، فإذن: ﴿لَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾[2].

---

(١) روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الكروبيين قوم من شيعتنا من الخـلق الأوّل، جعلهم الله خلف العرش، لو قسم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم، ثم قال: إن موسى عليه السلام لما سأل به ما سأل، أمر رجلاً من الكروبيين، فتجلى للجبل، فجعله دكاً. (السرائر ٣: ٥٦٩).

(٢) سورة طه: ١١٠ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً﴾.

فدع عنك بحراً ضلّ فيه السوابح.[١]

أمّا تجلّيه في مظاهر الأسماء والصفات في كلّ موجود، فنجده في كلّ شيء ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[٢].

«ولو أنّكم أدليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله»[٣].

وبالرغم من تجلّيه جلّ شأنه لجميع مخلوقاته، لكن الخواص وحدهم يدركوا هذا التجلّي، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«ما رأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه»[٤].

أمّا العوام فانّهم لا يعرفون ما يرون:

﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾[٥].

قال الله تعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣: ٧٢.
(٢) البقرة: ١١٥. ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾.
(٣) بحار الأنوار ٥٥: ١٠٧.
(٤) تفسير الميزان ٨: ٢٦٣.
(٥) سورة فصلت: ٥٤.

الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[١].

قيل: يعني: سأكحل عين بصيرتهم بنور توفيقي وهدايتي، لتشاهدوني في مظاهري الأفاقيّة والأنفسية مشاهدة عيانٍ؛ حتى يتبيّن لهم أنّه ليس في الآفاق ولا في الأنفس إلّا أنا وصفاتي وأسمائي، وأنا الأوّل والآخر والظاهر والباطن.

ثمّ أكّده بقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِ﴾ على سبيل التعجّب.

قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

«إنّ الله تجلّى لعباده من غير أن رأوه، وأراهم نفسه من غير أن يتجلّى لهم».

قوله: *«تجلّى لعباده»*: أي أظهر ذاته في مراءة كلّ شيء بحيث يمكن أن يرى رؤية عيان، من غير رأوه بهذا التجلّي رؤية عيان، لعدم معرفتهم بالأشياء من حيث مظهريتها له وأنّها عين ذاته الظاهرة فيها.

«وأراهم نفسه»: أي أظهرها لهم في آيات الآفاق والأنفس من حيث إنّها شواهد ظاهرة له، ودلائل باهرة عليه، فرأوه رؤية علمٍ وعرفان.

(١) سورة فصلت: ٥٣.

«*من غير أن يتجلّى لهم*»: أي من غير أن يُظهر ذاته فيها عياناً بحيث يعرفون أنّها مظاهر له، ومرايا لذاته وأنّه الظاهر فيها بذاته.

وقال سيّد الشهداء الحسين بن علي ـ صلوات الله على جدّه وأبيه وأمّه وأخيه وعليه وبنيه ـ في دعاء عرفة:

«*إلهي، كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك، ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك، ولا تزال عليها رقيباً، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبا*».

وقال أيضاً:

«*تعرفت لكل شيء فما جهلك شيء*».

وقال: «*تعرفت إلي في كلّ شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء، فأنت الظاهر لكلّ شيء*»[1].

وروى الشيخ الصدوق محمد بن بابويه القمّي ﵀ في كتاب «التوحيد» بإسناده عن أبي بصير، قال: قلت له:

«*أخبرني عن الله عزّ وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟*

قال: نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة.

---

(١) بحار الأنوار ٤٦ : ١٤٢.

فقلت: متى؟

قال: حين قال لهم: ﴿أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾.

ثمّ سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟

قال أبو بصير: فقلت له: جعلت فداك فاحدث بهذا عنك؟

فقال: لا، فإنّك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله، ثم قدر أن ذلك تشبيه؛ كفر، وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبّهون والملحدون»[1].

وبإسناده عن الكاظم ﵇ قال:

«*إن الله تبارك وتعالى كان لم يزل بلا زمان ولا مكان وهو الآن كما كان، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان، ولا يحل في مكان، ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم أينما كانوا، ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه، احتجب بغير حجاب محجوب، واستتر بغير ستر مستور*»[2].

---

(١) التوحيد: ١١٧.

(٢) أخرج الشيخ الكليني في أُصول الكافي (١ : ١٠٥)، عن محمد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمد بن زيد قال: جئت إلى الرضا ﵇ أسأله عن التوحيد فأملى عليَّ:

⇦

وقال بعض أهل المعرفة :

العالم غيب لم يظهر قط ، والحقّ تعالى هو الظاهر ما غاب قط ، والناس في هذه المسألة على عكس الصواب ، فيقولون : العالم ظاهر والحقّ تعالى غيب .

فهم بهذا الاعتبار في مقتضى هذا الشرك كلّهم عبيد للسوي ، وقد عافى الله بعض عبيده عن هذا الداء .



الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء ، ومبتدعها ابتداعاً بقدرته وحكمته ، لا من شيء فيبطل الاختراع ، ولا لعلة فلا يصح الابتداع ، خلق ما شاء كيف شاء ، متوحداً بذلك لاظهار حكمته وحقيقة ربوبيته ، لا تضبطه العقول ولا تبلغه الأوهام ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به مقدار ، عجزت دونه العبارة وكلّت دونه الأبصار وضل فيه تصاريف الصفات ، احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور ، عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم ، لا إله إلا الله الكبير المتعال .

فصل

في لقاء الله وكيفيته

للإمام الخميني قدّس سرّه



إعلم أن الآيات والأخبار الواردة في لقاء الله صراحة أو كناية وإشارة، كثيرة لا يسع هذا المختصر الخوض في ذلك مفصلاً، ولكننا نشير إلى بعضها بصورة مختصرة، ومن أراد التفصيل في ذلك أكثر فعلية مراجعة كتاب «لقاء الله» للمرحوم العارف بالله الحاج ميرزا جواد التبريزي ﵀، حيث جمع إلى حد كبير الأخبار المأثورة في هذا الموضوع.

إعلم بأنه قد ذهب بعض العلماء والمفسّرين إلى سدّ باب السبيل إلى (لقاء الله) نهائياً، والجحود للمشاهدات العينية والتجليات الذاتية والأسمائية، زاعمين بذلك أنهم ينزهون الذات المقدس، ومفسرين جميع آيات لقاء الله وأحاديثها، بلقاء يوم الآخرة، ولقاء الجزاء والثواب والعقاب.

وهذا التوجيه ليس ببعيد كثيراً، بالنسبة إلى مطلق اللقاء واتجاه بعض الآيات والروايات، ولكنّه بالنسبة إلى بعض الأدعية المعتبرة والأحاديث المأثورة في الكتب المعتبرة، والأحاديث المشهورة التي ارتكز عليها علماؤنا العظام، موهون وبعيد جداً.

ولا بدّ أن تعرف بأنه ليس مقصود من أجاز فتح الطريق على لقاء الله ومشاهدة جمال الحق وجلاله، جواز اكتناه ـ التعرف على

الحقيقة والذات - ذاته المقدس، أو إمكان الإحاطة في العلم الحضوري والمشاهدة العينية الروحانية، على ذاته، المحيط بكل شيء على الإطلاق، فإن امتناع الاكتناه لذاته المقدس بالفكر في العلم الكلي ـ الفلسفة ـ وامتناع الإحاطة بالبصيرة في العرفان، من الأمور البرهانية، ومتّفق عليه لدى جميع العقلاء، وأرباب القلوب والمعارف، بل المقصود لدى من يدعي مقام لقاء الله هو :

أنه بعد حصول التقوى التامة والكاملة، وانصراف القلب نهائياً عن جميع العوالم، ورفض التوجه نحو النشأتين ـ المُلك والملكوت ـ ووطيء الأنانية والإنّيّة، والإقبال الكلّي نحو الحقّ المتعالي وأسماء ذاته المقدس وصفاته، والانصهار في عشق ذاته المقدّس وحبّه، وتحمّل جهد وترويض القلب، يحصل صفاء في القلب لدى السالك يبعث على تجلّي أسماءه وصفاته، وتمزّق الحجب الغليظة التي أسدلت بين العبد من جهة والأسماء والصفات من جهة أُخرى، والفناء في الأسماء والصفات، والتعلق بعزّ قدسه وجلاله والتدلّي التام بذاته.

وفي هذا الحال لا يوجد حاجز بين روح السالك المقدّسة والحق المتعالي سوى حجاب الأسماء والصفات.

ويمكن أن يرفع الستار النوري للأسماء والصفات لبعض أرباب السلوك أيضاً، وينال التجليات الذاتية الغيبية، ويرى نفسه

متدلياً ومتعلقاً بالذات المقدس، ويشهد الإحاطة القيومية للحق والفناء الذاتي لنفسه، ويرى بالعيان أن وجوده ووجود كافة الكائنات، ظلّاً للحق المتعالي.

وكما قامت البراهين على أنه لا حجاب بين الحق سبحانه وتعالى والمخلوق الأول المجرد عن جميع المواد والتعلقات، بل البرهان قائم على عدم وجود حجاب بين الحقّ وكافة المجرّدات بشكل عام، فكذلك لا يوجد حجاب بين هذا القلب الذي يبلغ في سعته وإحاطته الموجودات المجردة، بل اجتيازها ووطيء بأقدامه على رؤوسها، وبين الحق المتعالي. كما في الحديث الشريف المنقول عن «الكافي» و «التوحيد» :

«إنَّ روح المؤمن لأشدُّ اتصالاً بروح الله من اتصال شعاع الشمس بها»[1].

وفي المناجاة الشعبانية المقبولة لدى العلماء، والتي يدلّ مضمونها على أن هذه المناجاة من الأئمة المعصومين عليهم السلام :

«إلهي هَبْ لِي كَمَالَ الانْقِطَاعِ إِلَيْكَ، وَأَنِرْ أَبْصَارَ قُلوبِنَا بِضِياءِ نَظَرِها إِلَيْكَ حَتّى تَخْرِقَ أَبْصارُ القُلوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ إِلَى مَعْدِنِ العَظَمَةِ وَتَصِيرَ أَرْوَاحُنا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ

(١) الكافي ٢ : كتاب الإيمان والكفر، باب أخوة المؤمن، ح ٤ .

قُدْسِكَ.

إلهي وَاجْعَلْني مِمَّنْ نَادَيْتَهُ فأجابَكَ وَلاحَظْتَهُ فَصَعِقَ لِجَلالِكَ فَناجَيْتَهُ سِرّاً وعَمِلَ لَكَ جَهْراً»[١].

وفي الكتاب الإلهي الشريف، لدى حكاية معراج الرسول الأكرم ﷺ :

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾[٢].

ولا تتنافى هذه المشاهدة الحضورية الفنائية، مع البرهان على عدم الاكتناه والإحاطة للذات المقدسة، ومع الأخبار والآيات التي تدل على تنزيه الحقّ جلّ وعلا من كل عيب ونقص وحدّ، بل يكون مؤكداً ومؤيّداً لها . فانظر الآن ما جدوى هذه التوجيهات والتأويلات البعيدة ؟ هل نستطيع أن نوجّه كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الذي يقول :

«فَهَبْني صَبَرْتُ عَلى عَذابِكَ فَكَيْفَ أَصْبِرُ عَلى فِراقِكَ»[٣].

هل أن تحرّق وتألّم أولياء الله، من فراق حور العين وقصور الجنة ؟ وهل يمكن تفسير هذه الجملة :

(١) مفاتيح الجنان ، المناجاة الشعبانية .
(٢) سورة النجم : ٨ و ٩.
(٣) مفاتيح الجنان ، دعاء كميل .

«ما عَبَدْتُكَ خَوْفاً مِنْ نارِكَ وَلا طَمَعاً في جَنَّتِكَ بَلْ وَجَدْتُكَ أَهْلاً لِلْعِبادَةِ فَعَبَدْتُكَ عِبادَةَ الأَحْرارِ» .

على أن هذا الأنين هل هو من جرّاء الفراق عن الجنة وأطعمتها ؟

هيهات أن يكون ذلك ، إنه لكلام غير موزون، وتوجيه غير مقبول .

هل يمكن القول أن تجلّي جمال الحقّ سبحانه ليلة المعراج، والمجلس الذي أقيم في تلك الليلة من دون أن يحضرها أحد من الكائنات أو لم يطّلع على أسراره أحد، حتى أمين الوحي جبرائيل، بأنه مشاهدة للجنة و قصورها المشيّدة، وأن أنوار العظمة والجلال هي رؤية لنعم الحقّ ؟

هل أن التجلّيات التي حصلت للأنبياء عليهم السلام ، التي ورد ذكرها في الأدعية المعتبرة هي من قبيل النعم والمأكول والمشروب أو البساتين والقصور ؟ ومن المؤسف أننا نحن المساكين، المسجونين في الحجب المظلمة، والمصفدون بسلاسل الآمال والأمنيات، لا نفهم إلّا المطعومات والمشروبات والمنكوحات وأمثالها، وإذا أراد فيلسوف أو عارف أن يرفع هذه الحجب، اعتبرنا سعيه هذا غلطاً و خطأً، و ما دمنا مسجونين في البئر المظلم، عالم المُلك لم نستوعب شيئاً من أصحاب المعارف والمشاهدات .

ولكن عزيزي: لا تقارن نفسك مع الأولياء، و لا تظن بأن قلبك يضاهي قلوب الأنبياء وأهل المعارف . إن قلوبنا المشحونة بغبار التعلّق بالدنيا وملذاتها وإن انغماسنا في الشهوات يمنع قلوبنا من أن تكون مرآة لتجلي الحقّ سبحانه، ومحلاً لظهور المحبوب.

ومن المعلوم أننا لا نعي شيئاً من تجلّيات الحقّ وجماله وجلاله عندما نشعر بالأنانية والذاتية والمحورية، بل يجب أن نكذب في هذا الحال أحاديث الأولياء وأهل المعرفة، فإن لم نكذّبها بألسنتنا في الظاهر، لكذّبناها في قلوبنا. و إن لم نجد سبيلاً للتكذيب، بأن كانت أحاديث النبي ﷺ أو الأئمة المعصومين عليهم السلام، لفتحنا باب التأويل والتفسير، وفي النهاية نسدّ باب معرفة الله.

فنفسر قوله ﷺ: «*مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إلّا وَرَأَيْتُ الله مَعَهُ وَقَبْلَهُ وَفِيهِ*» على رؤية الآثار.

وقوله: «*لَمْ أَعْبُدْ رَبّاً لَمْ أَرَهُ*» بالعلم بالمفاهيم الكلية التي تضارع علومنا، وقوله في آياته الكريمة التي تتحدث عن لقاء الله، بلقاء يوم الجزاء.

وقوله: «*لي مَعَ الله حَالَةٌ*» بحالة الرقّة في القلب.

وقوله: «*وَارْزُقْني النَّظَرَ إلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ*» وتأوّه الأولياء وتحرّقهم في معاناة الفراق، بالبعد عن حور العين، وطيور الجنة، وهذه التفاسير لا تكون إلّا نتيجة أننا لا نكون رجال تلك الساحات،

ولا نفهم إلّا المتع الحيوانية والجسمانية دون غيرها، ولهذا ننكر جميع المعارف.

والأنكى من كلّ ذلك، هذا الإنكار الذي يفضي إلى غلق باب كل المعارف، ويحجزنا عن السعي والطلب، ويجعلنا نقتنع بمستوى الحيوانية والبهيمية، ويحرمنا من عوالم الغيب والأنوار الإلهية.

لقد أصبحنا نحن المساكين المحرومين نهائياً من المشاهدات والتجليات في منأى حتى عن الإيمان بهذه المعاني التي هي درجة من الكمال النفسي والتي يمكن أن تسوقنا إلى مرحلة متقدّمة.

إننا نهرب من العلم الذي قد يكون منطلقاً وبذرة للمشاهدات، ونغلق عيوننا وأسماعنا نهائياً ونضع القطن في آذاننا حتى لا يتطرق كلام الحق إليها. وإذا سمعنا حقيقة من لسان عارف هائم أو سالك حزين أو فيلسوف متأله، نتصدى فوراً نتيجة عدم طاقة آذاننا على استماع تلك الحقيقة، ونتيجة أن حُبَّ النفس يمنعنا من جعل هذه الحقائق أسمى من قدرة استيعابنا لها، ونتصدى فوراً للطعن فيه ولعنه وتكفيره وتفسيقه، ولا نأبى من أي غيبة أو تهمة.

إننا نوقف الكتاب ونشترط على كلّ من يستفيد منه أن يلعن المرحوم الملّا محسن فيض الكاشاني ـ صاحب كتب الأخبار والأخلاق والكلام والتفسير ـ يومياً مائة مرة.

ونرمي صدر المتألهين الذي هو قمّة التوحيد بالزندقة ولا نبخل عن إهانته أبداً، ونقول عنه بأنه صوفي رغم عدم ظهور أي رغبة منه في كلّ كتبه نحو مذهب التصوف ورغم تأليفه لكتاب «كسر أصنام الجاهلية في الردّ على الصوفية».

إننا نترك الذين يستحقون اللعن، ويكونون ملعونين على لسان الله ورسوله ﷺ، ونلعن من يصرخ بالإيمان بالله ورسوله والأئمة الهادين عليهم السلام.

وإنني أعلم بأن هذا اللعن والتوهين لا يسيء إلى مقامهم، بل قد يضاعف حسناتهم ويرفع من درجاتهم، ولكنه يسيء إلينا وقد يبعث على الخذلان وسلب التوفيق منّا.

يقول شيخنا العارف ـ الشاه آبادي ـ روحي فداه:

لا تلعنوا الأشخاص حتى الكافر الذي مات ولم تعرفوا أنه على أيّ دين مات، إلّا إذا أخبر وليّ معصوم عن حاله بعد الموت، إذ من الممكن أنه أصبح مؤمناً لدى سكرات الموت، وإنما العنوا بصورة عامة وكلية.

فكم الفرق بين شخص يملك مثل هذه النفس القدسية التي لا ترضى أن يلعن من مات على الكفر ظاهراً، لإمكان أنه غدا مؤمناً في اللحظات الأخيرة من حياته، وشخص آخر من أمثالنا ـ وإلى الله المشتكى ـ يرقى المنبر مع أنه من أهل العلم والفضيلة ويقول أمام

العلماء والفضلاء مستغرباً: أن فلان رغم انّه فيلسوف، يتلو القرآن ـ وهذا الكلام يشبه ما إذا قلنا: أن فلان رغم كونه نبياً ـ يعتقد بالمبدأ والمعاد.

إنني أيضاً لا أعتقد كثيراً بالعلم فقط، إن العلم الذي لا يفضي إلى الإيمان أراه الحجاب الأكبر، ولكن لو لم نرد الحجاب ولم نتعلم لما تمكنّا من خرقه.

إن العلوم بذور المشاهدات. وإنه لمن الممكن أن يبلغ الإنسان إلى مقامات شامخة من دون تعلّم حجاب المصطلحات والعلوم، ولكن هذا خلاف العادة، وخلاف طبيعة السنن، وإنه نادراً ما يحصل. فالطريق الطبيعي لمعرفة الله وطلبه هو أن الإنسان يبتدىء أولاً بإنفاق وقت في التفكر بالحقّ سبحانه، ويحصل على العلم بالله وأسماء ذاته المقدس وصفاته حسب الأساليب المتبعة من التلمذة على يد رجال ذلك العلم، ثم يتزوّد من العارف بواسطة الرياضة العلمية والعملية وينتهي بذلك حتماً إلى النتيجة المنشودة. وإن لم يكن الإنسان من أهل المصطلحات ـ العلم ـ يستطيع أن يصل إلى النتيجة من خلال تذكّر المحبوب، وانشغال القلب بالذات المقدّس. ومن المعلوم إن مثل هذا الانشغال القلبي والتوجه الباطني سيكون سبباً لهدايته وأن الله سبحانه وتعالى سيعينه في ذلك، وأن حجاباً من الحجب سيرفع له، وأنه سيتنازل قليلاً عن موقفه المُنكر ـ

تجاه العرفاء والفلاسفة ـ ولعلّ الله سبحانه وتعالى يفتح عليه ببركة عناياته الخاصة، باباً من المعارف إنه وليّ النعم.[1]

(١) يتحدّث الملكي التبريزي في المراقبات (٩٣ـ ٩٦) عن عبادة العارفين فيقول :

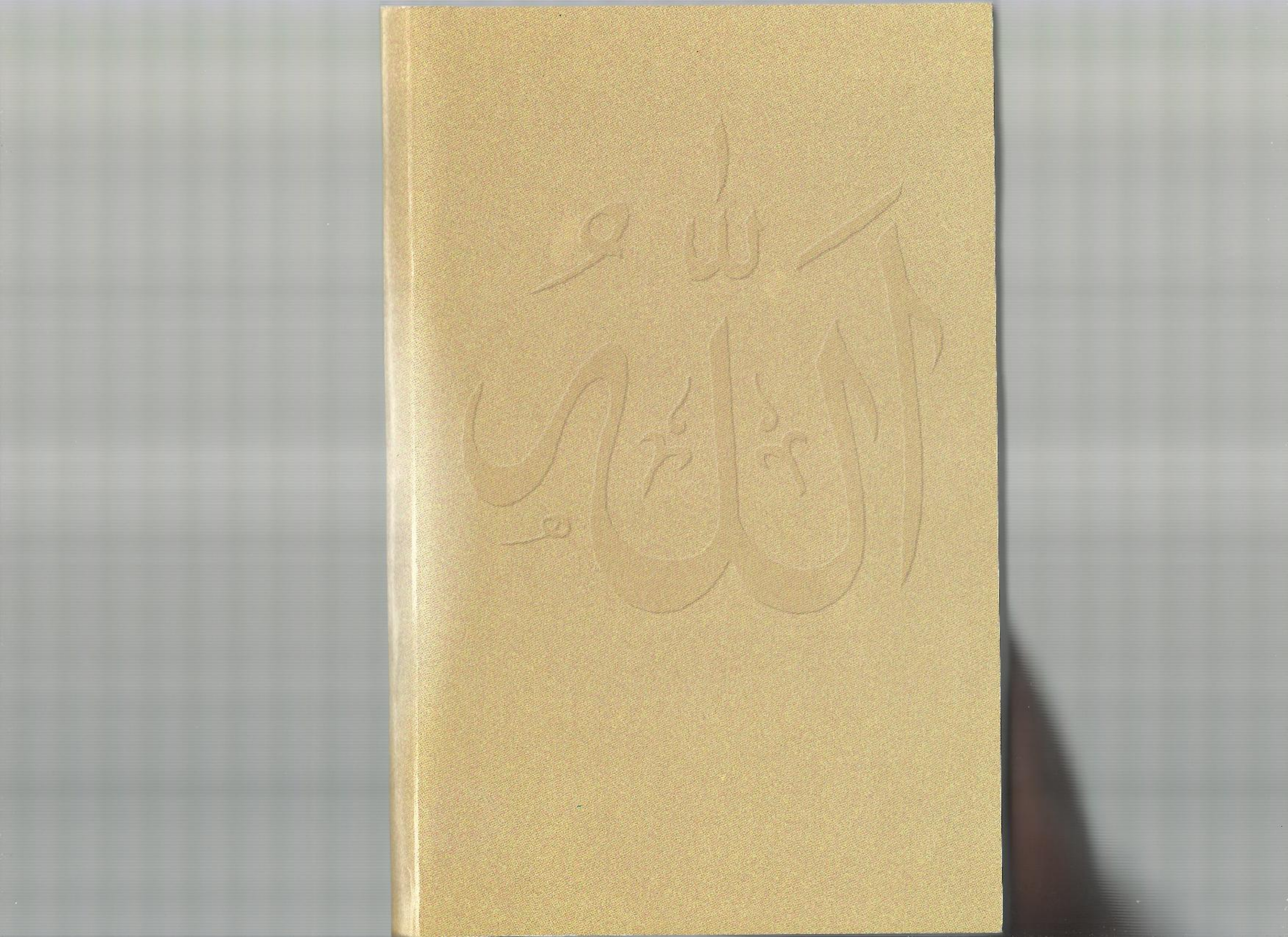
الأحرار العارفين بالله جلّ جلاله لا تكون أعمالهم غالباً من باب الطمع والخوف ، بل يكون باعثهم على العمل ما يتجلّى لهم من عظمة ربّهم وكبريائه أو نوره وبهائه ، فيعملون ويتواضعون ويعبدون ربّهم ومولاهم من غير روية وتردّد واختيار ، بل يشبه عملهم عمل المضطرّين ، كما قال في حقّهم علي عليه السلام في حديث همّام : «*بل خامرهم من عظمة ربّهم ما طاشت به عقولهم*» ، أو عمل المجذوبين الوالهين من ظهور بهاء الحق تعالى ، وسطوع أنوار جماله ، فصاروا بين يديه حيارى متضرّعين ، وسكاري متملّقين ، فإذا جنّهم الليل ، واختلط الظلام ، ونصبت الأسرّة ، وخلى كل حبيب بحبيبه ، نصبوا بين يديه أقدامهم ، وافترشوا جباههم ، فهم بين متأوّه وباك ، ومتضرّع وشاكٍ ، فبعين ما يتحمّلون لأجله ، وبسمع الله ما يشتكون من حبّه ، فيقبلهم ربّهم بقبول حسن ، ويريهم جماله ، ويؤنسهم بحسن صنيعه ، ولطف فعاله .

وأمّا الذين لم يعرفوا من الله إلّا جنّته وناره ، فيعملون خوفاً من النار وشوقاً الى الجنّة ، فلا يتأتّى منهم عمل العارفين المحبّين المشتاقين . نعم لهم أن يقهروا أنفسهم بالتفكّر في عظمة خالقهم ونعمه السابغة التي لا تحصى ، ويسعوا في تخلية أنفسهم وقلوبهم من ذكر الجنّة والنار ، فيصحّحوا بالتعمّل قصداً خالصاً من باعث الرغبة والرهبة ، ومجرّداً لكونه تعالى أهلاً للعبادة ، أو يتفكّروا فيما سمعوا من أخبار الأنبياء والأولياء أن لا مرتقى فوق قرب الله ولقائه ، ويقدّروا في أنفسهم لذلك معنى صحيحاً ويجهدوا فيستقيم لهم في بعض الأحيان باعث الشوق الى قربه ولقائه . *(المترجم)* .

المحتويات

قبسات من حياة العارف الملكي التبريزي قدس سره ٩
ولادته ونشأته ١٣
نشأته العلمية ١٤
رجوعه الى تبريز ١٦
هجرته الى قم ١٦
مؤلفاته ١٧
تقاريظ العلماء له ١٨
وفاة الملكي التبريزي قدس سره ٢٠
رسالة لقاء الله ٢٣
لقاء الله عزّ وجلّ المقصد الاعلى ٢٧
العزم وبداية العودة ٧٩
توبة الرعية ٨٥
مقام التوبة في مقام السلوك ١٠١
زاد الطريق «المشارطة والمراقبة والمحاسبة» ١١٣
المحاسبة عند النوم ١١٥

آداب النوم... ١١٦
آداب الاستيقاظ من النوم... ١٢٠
المحاسبة والمراقبة... ١٢١
حفظ اللسان... ١٢٧
أحكام أكل السالكين... ١٢٩
قلّة النوم... ١٣٠
تهجّد السالكين... ١٣١
زاد الطريق وسوط السلوك... ١٧١
يا إنسان! يا عاقل... ١٧٥
على بوّابة التحول... ١٨٦
على عتبة المنزل... ١٩٣
مقدّمة... ٢٠٢
تحقيق... ٢٢٢
رسالة المؤلف ﷺ العرفانية للعلّامة الكمپاني ﷺ... ٢٢٥
السير إلى لقاء الله للفيض الكاشاني ﷺ... ٢٣٥
فصل في لقاء الله وكيفيته للإمام الخميني ﷺ... ٢٤٣




ماوى طلاب الحق والحقيقة
مأوى طلاب الحق والحقيقة
المجتمع
متابعة
مشاركة
تم تصوير الكتاب ورفعه عبر صفحة " مأوى طلاب الحق والحقيقة "